المعاجم العربية

موضوعات وألفاظاً

دكتور

فوزى يوسف الهابط

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



المعاجم العربية

موضوعات وألفاظاً

« بسم الله الرحمن الرحيم »

بين يدى الكتاب

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ... وبعد :

فإن الكتب التى تتحدث عن المعاجم ـ فى أى لغة من اللغات – تعد من الأهمية بمكان ، لكل مثقف ، ولكل طالب للثقافة ، وذلك لأنها تفتح أمام عينيه صفحات هذه المعاجم وتقلب فيها ، ثم تضع أمامه أشهى ثمار تلك المعاجم ؛ شارحة طرقها فى عرض المواد اللغوية ، مبينة كيفية الاهتداء إلى أى مادة من تلك المواد ، بأيسر طريق ، ودون عناء يذكر ، وذلك حتى لا يضيع وقت القارىء الثمين فى سبيل الوصول إلى معنى مادة من المواد ، أو كلمة من الكلمات التى تَأَبَّت عليه معانيها ، وغابت عنه مراميها .

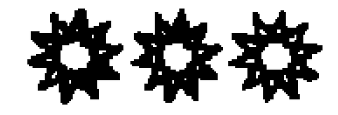
وهذا الكتاب : يحاول أن يضع لبنة متواضعة ، فى صرح تلك الكتب الكبيرة ، التى تتخذ من المعاجم مادة لها ، حتى يكون رفيقا صالحا لقارئه طوال حياته .

وإنَّ صاحبه لمدين بالفضل إلى الله أولا ثم إلى من عبَّدوا له ولغيره هذا الطريق الوعر المسالك ، المتشعب الدروب .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

القاهرة فى ربيع الآخر ١٤١٣هـ
أكتوبر ١٩٩٢م

دكتور فوزى يوسف الهابط
كلية اللغة العربية بالمنوفية



الباب الأول

المعاجم : ما هى ؟ وكيف نشأت ؟

الفصل الأول

المعاجم اللغوية . . ما هى ؟

الحاجة إلى المعاجم :

قد يقف الإنسان أمام لفظ ما ، لا يعرف كُنهه أو معناه . . .

وقد يجيش بخاطره معنى لا يعرف له قالبا لغويا يصبه فيه .

وحينئذ يشعر أنه محتاج إلى ما يشرح له غموض ذلك اللفظ أو يحدد له القالب اللغوى لذلك المعنى .

وهذا الذى يشرح الألفاظ ، ويحدد قوالب المعانى ، هو ما يعرف بالمعاجم اللغوية .

فما هى ؟ وكيف نشأت ؟ وكيف تطورت ؟ وكيف تنوعت ؟ وما أفراد كل نوع ؟ وما خصائص كل فرد ؟

هذا ما أحاول الإجابة عنه فى هذا الكتيب المتواضع ، الذى يحاول قدر جهده أن يقرب علم المعاجم العربية من أبناء العربية .

ما المعاجم اللغوية :

المعاجم اللغوية : هى التى تحصر ألفاظ اللغة وترتبها ترتيبا خاصا يساعد الباحث على التعرف على اللفظة بشرح مدلولها .

أو : تيسر له وسيلة العثور على مجموعة من الألفاظ التى يجمعها موضوع واحد[1] .

والمعجم الكامل – كما قال بعض الباحثين[2] – « هو الذى يضم كل كلمة فى اللغة ، مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها ، وطريقة نطقها ، وشواهد تبين مواضع استعمالها » .

ولكن ما أصل كلمة معجم ؟

كلمة (معجم) جاءت من مادة (ع ج م) ، وهى مادة تدل – فى لغة العرب – على الإبهام والاخفاء ، اللذين هما ضد البيان والإفصاح .

فالعُجمة : الحُبْسَة فى اللسان [3] ، ومن ذلك : رجل أعجم وامرأة عجماء ، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما[4] ، وإن كانا عربيين .

والأعجم : الأخرس ، والموج الأعجم : الذى لا ينضح ماء ولا يُسمع له صوت [5] .

والعجماء : البهيمة ، وفى الحديث : « جرح العجماء جبار » وإنما سميت عجماء : لأنها لا تتكلم فكل من لا يقدر على الكلام أصلا : فهو أعجم ومستعجم[6] .

---

(١) انظر : المعاجم العربية – الكتاب الأول – د . عبد السميع محمد أحمد – ص ١٨ – نشر : دار الفكر العربى بمصر .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار – الصحاح ومدارس المعجمات العربية – ص ٣٨ ط . دار الكتاب العربى بمصر .

(٣) أى : تعذر الكلام عند إرادته – اللسان : حبس .

(٤) ابن جنى – سر صناعة الإعراب – بتحقيق مصطفى السقا وآخرين : ١ / ٤٠ – ط . مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(٥) انظر تاج العروس للزبيدى : عجم .

(٦) الصحاح للجوهرى : عجم .

فكل ذلك يدل على الإبهام والخفاء ، بينما (المعجم) الذى نحن بصدده يُزيل الخَفاء عن المعانى الغامضة للألفاظ ! (فكيف يستقيم أن يشتق اسمه من مادة لغوية تدل على الإبهام والخفاء ، حيث تقول أعجمت الكلام : أى وضحته وبينته ؟

أجاب ابن جنى على هذا التساؤل قائلا :[1] .

إن قولهم : أعجمت وزنه أفعلت ، وأفعلت هذه – وإن كانت فى غالب أمرها – إنما تأتى للإثبات والإيجاب – نحو أكرمت زيدا ، أى أوجبت له الكرامة ، وأحسنت إليه : أثبت له الإحسان – فقد تأتى أفعلت أيضا يراد بها السلب والنفي وذلك نحو : أشكيت زيدا ، إذا زلتُ له عما يشكوه . . . فكذلك أيضا يكون قولنا : أعجمت الكتاب أى أزلت عنه استعجامه . . . ونظيره أيضا : أشكلت الكتاب أى أزلت عنه إشكاله .

وقد قالوا أيضا : عجَّمت الكتاب ، فجاءت فعَّلت للسلب أيضا كما جاءت أفعلت .

ونظير عجَّمت – فى النفى والسلب – قولهم مَرَّضْت الرجل ، أى داويته ليزول مرضه ، وقَذَّيت عينه أى أزلت عنها القذى .

وقد أُخذ من هذه المادة كلمة (حروف المعجم) ، أى الحروف التى زالت عجمتها ، وزال خفاؤها عن طريق نَقْط بعضها وترك بعضها الآخر. فأصبحت لكل منها معالم خاصة تميزها عن أختها ، فالجيم والخاء حين تنقطان تَتميزان عن بعضهما وتُمَيزان عن الحاء التى بلا نقط ، والشين حين تنقط تميز عن السين وهكذا[2] .

---

(١) سر صناعة الإعراب : ١ / ٤٢ وما بعدها .

(٢) انظر : سر صناعة الإعراب : المكان السابق .

وقد « وُصفت الكتب التي راعت في ترتيبها حروف الهجاء أيَّ مراعاة – في الحرف الأول وحده ، أو في الحرفين الأولين ، أو في حروفها جميعا ، وعلى ترتيب ألف باء ، أو ترتيب المخارج ، أو ترتيب الأبجدية – بأنها تسير على حروف المعجم »[1] .

ولكن . . متى أطلق هذا الوصف أولا ؟ وعلام أطلق ؟

لم يعرف الباحثون متى أطلق على وجه التحديد ، لكن الذى يعلمونه أن أول من استعمل الكلمة كان من رجال الحديث ، وأن ذلك كان فى القرن الثالث الهجرى[2] ، فقد وجدوا فى صحيح البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ١٩٤ – ٢٥٦هـ) بابا أطلق عليه : باب تسمية من سمى من أهل بدر فى الجامع الذى وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم[3] .

و(الجامع) أحد كتب البخارى الذى رتب فيه أسماء الرجال على حروف المعجم مبتدئا بالمحمدين[4] .

كما عثروا على أول كتاب أطلق عليه هذا الوصف واسمه : معجم الصحابة لأبى يَعلى أحمد بن على التميمى الموصلى (٢١٠ – ٣٠٧هـ)[5] .

ثم سار على نهجه عبد الله بن محمد البغوى (٢١٤ – ٣١٥هـ) فى كتابيه اللذين أطلق عليهما : المعجم الكبير والمعجم الصغير فى أسماء الصحابة[6] رضوان الله عليهم .

وعثروا – فى هذا القرن الثالث الهجرى – على كتابين آخرين فى العروض والأدب ، أطلق عليهما نفس الوصف :

---

(١) د . حسين نصار – المعجم العربى : نشأته وتطوره : ١ / ١٢ ، ١٣ ط ٢ مكتبة مصر بالفجالة .

(٢) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات – أحمد عبد الغفور عطار : ص ٥٣ ، ٥٤

(٣) صحيح البخارى – بشرح الكرمانى – كتاب المغازى : ١٥ / ١٩٨ ، ط المطبعة البهية المصرية .

(٤) هدية العارفين أسماء المؤلفين لإسماعيل باشا البغدادى : ٢ / ١٦ .

(٥) المرجع السابق ١ / ٥٧ .

(٦) السابق : ص ٤٤٤ .

الأول – كتاب معانى العروض على حروف المعجم لنزرّح بن محمد العروضى[1] .

والثانى – كتاب الأغانى على حروف المعجم لحُبَيْش بن موسى الضبى[2] (ت ٢٥٠هـ) .

ومما سبق يتبين لنا أنه قد أجيب على تساؤل أحد الباحثين حول زمان هذا الوصف ، وهل كان فى القرن الثالث الهجرى ، أم كان فى القرن الرابع الهجرى[3] ؟ وهل كان من إطلاق المؤلفين أم من إطلاق المؤرخين ؟

فقد وضح بما لا يدع مجالا للشك أنه أطلق خلال القرن الثالث الهجرى ، بدليل تسمية البخارى لأحد أبواب صحيحه بذلك الاسم ، ولا يعقل أن يضع المؤرخون اسما لباب .

اختصار الاسم :

ويبدو أن المؤلفين – بعد ذلك – استثقلوا ذلك الاسم الطويل (كتاب كذا على حروف المعجم) فاختصروه ، وساروا – فى هذا الاختصار – على طريقين :

الأول – قولهم : كتاب كذا على الحروف ، بحذف كلمة (معجم) .
والثانى – قولهم : معجم كذا ، بحذف كلمة (الحروف) وتغيير ترتيب الكلمة .
وقد كان هذا – أيضا – فى القرن الثالث الهجري الذي سار فيه المؤلفون – من اللغويين وغيرهم – على هذا النهج[4] .

---

(١) الفهرست للنديم (أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب – ت ٣٨٠هـ) بتحقيق رضا تجدد : ص ٧٨ ، ٧٩ . ط . طهران .
(٢) معجم الأدباء : ٧ / ٢٢١ ط . دار المأمون ، هذا وقد أسماه البغدادى فى (هدية العارفين : ١ / ٢٦٧) حسن بن موسى النصبى ، وأعتقد أن هذا تصحيف .
(٣) انظر : المعجم العربى نشأته وتطوره – د . حسين نصار : ١ /١٣ .
(٤) انظر : المرجع السابق : ص ١٣ ، ١٤ .

تسمية المعجم بالقاموس :

ثم اشتهرت المعاجم باسم : القواميس[1] بعد أن ألف الفيروزبادى (٧٢٩ - ٨١٦هـ) معجما أطلق عليه اسم : القاموس المحيط .

فإنه لما اشتهر هذا الكتاب وكثر تداوله : اكتفى الناس باسم القاموس . وأصبح مرادفا عندهم لكلمة (معجم لغوى) .

وقد أقرهم مجمع اللغة العربية على ما ألفوه ، وعد كلمتى المعجم والقاموس تعنيان شيئا واحدا وهو المعجم اللغوى[2] .

❋❋❋

---

(١) جمع قاموس ومعناه : البحر .

(٢) انظر : المعجم الوسيط : قمس - ط ٣ .

الفصل الثانى

نشأة المعاجم عند الأمم القديمة(*)

أولا : نشأتها :

دعت الحاجة أمما قديمة - سابقة للعرب - إلى أن يتدعوا النظام المعجمى لمختلف المقاصد والغايات ، ومن هذه الأمم :

١ - الأشوريون :

وهم الذين خافوا على لغتهم القديمة أن تضيع ؛ فجمعوا ألفاظها من أفواه الكهنة الذين كانوا يستعملونها فى شعائرهم الدينية ، ثم حفروها - منظمة فى قوائم - على قوالب من طين ، وأودعوها مكتبة أشور بانيبال الكبيرة التى كانت بقصر قويونجيك فى نِينَوى (٦٦٨ - ٦٢٥ ق . م) .

وقد أصبحت هذه القوالب - بعد اكتشافها - مصدرا صحيحا لتاريخ الأشوريين .

٢ - الساميون :

الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية واستقروا فى بلاد الشومريين (أرض الهلال الخصيب) .

فقد احتاجوا إلى التفاهم مع أهل البلاد الأصليين ، فصنعوا ألواحا من الفخارَ

(*) انظر - فى هذا - : البحث اللغوى عند العرب - د . أحمد مختار عمر ص ٤٣ - ٥٧ ط ٤ - عالم الكتب بمصر ، الصحاح ومدارس المعجمات العربية - أحمد عبد الغفور عطار : ص ٥٥ - ٥٧ .

قسموها إلى خانات ، الخانة الأولى : فيها كلمة شومرية ، وفى الخانات الأخرى ما يقابل هذه الكلمة من الكلمات الأكادية أو البابلية أو الأشورية .

ويرجع تاريخ هذه الألواح الفخارية ؛ إلى القرن الثالث قبل الميلاد .

٣ - الصينيون :

هم الذين ابتدعوا معاجم ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد وكان غرضهم من ابتداعها - أول الامر - خدمة النصوص الدينية ، بشرح الغامض من كلماتها ؛ ثم تطورت - هذه المعاجم - إلى معجمات كاملة تجمع الكلمات وتشرحها .

وأقدَمُ معاجمهم :

هو : معجم (يوبيان) وقد ألفه (كوفى وانج) ومعجم (إيره - يا) ذلك الذى كان أشبه ما يكون بمعاجم المعانى أو الموضوعات ، حيث وردت الكلمات فيه تحت موضوعات أو معان مختلفة .

ومعجم (شو - وان) الذى قام مؤلفه (هُوشِيْن) بترتيب وشرح حوالى عشرة آلاف وستمائة كلمة - معظمها - من كلمات النصوص الدينية القديمة .

ثم ظهر عندهم نظام معجمى جديد ، رتبت كلماته صوتيا حسب نطقها حيث حشدت فيه كل الكلمات ذات الصوت الواحد فى باب واحد .

وأول معجم صينى اتبع هذا النظام : هو معجم (هو - فا - ين) الذى ألف بين عامى (٥٨١ - ٦٠١م) .

٤ - اليونانيون :

انتجوا عددًا ضخما من المعاجم التى أُلف أكثرها فى الإسكندرية - أيام احتلالهم لها فى القرون الأولى بعد الميلاد - وكان هذا بمثابة العصر الذهبى لمعاجم اليونان .

وأشهر معاجمهم القديمة :

أ – معجم أبو قراط (الألف بائى) الذى ألفه عام ١٨٠ ق . م .

ب – معجم يوليوس بولكس ، الذى يشبه – إلى حد كبير – فى نظامه : المخصص لابن سِيدَه ، حيث اتبع نظام المعانى والموضوعات المتشابهة فى باب واحد .

جـ – معجم فاليريوس فيلكس ، تحت عنوان : فى معانى الألفاظ ، وقد ألفه فى عهد الإمبراطور أغسطس ، الذى ولد فى أيامه سيدنا المسيح عليه السلام .

د – معجم (اللهجات والمحليات) الذى ألفه : هزيشيوس السكندرى فى القرن الرابع الميلادى .

هـ – معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه الذى وضعه : أمونيوس السكندرى .

و – معجم أريون الطِّيبى (من أهل طيبة فى مصر ٣٩٠ – ٤٦٠م) وكان فى الاشتقاق .

٥ – الهنود :

بدأت أعمالهم المعجمية فى ظلال الدين ، حيث ظهرت – أول ما ظهرت – على شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة فى نصوصهم المقدسة ، وتلا ذلك شرح لهذه الألفاظ .

ثم ظهرت لهم أعمال معجمية لا تقتصر على ألفاظ النصوص المقدسة بل تعدتها إلى الألفاظ التى تستعمل فى الحياة العامة .

وأقدم ما وصل إلينا – فى هذا المضمار – :

أ – معجم (أماراكوسا) الذى ألفه الهندى البوذى : (أماراسِنْها) فى القرن السادس الميلادى أو قبله بقليل .

وقد قسم هذا المعجم إلى أجزاء ، منها : ما هو خاص بالألفاظ المترادفة ، وما هو خاص بالمشترك اللفظى ، وما هو خاص بالمذكر والمؤنث والمحايد .

وقد كُتب هذا المعجم فى هيئة منظومة - كألفية ابن مالك - ليسهل حفظه .

ب - معجم (مجهول الاسم) : كتب فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ورتبت الكلمات فيه بحسب عدد مقاطعها ، ثم بحسب الجنس (التذكير والتأنيث) ثم بحسب الحرف الأول .

٦ - حجر رشيد : معجم فرعونى قديم :

ويمكن أن يعد حجر رشيد - الذى عثرت عليه الحملة الفرنسية فى رشيد سنة ١٧٩٩م - من قبيل المعاجم الأثرية القديمة .

فهو قطعة كبيرة من حجر البازلت ، حفر عليها نص مكتوب بثلاث لغات هى : الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية .

وهذا النص عبارة عن شكر من الكهنة للملك بطليموس الخامس - الذى حكم مصر فى الفترة من ٢٠٣ - ١٨٠ ق . م وتزوج كليوباتره الأولى - ، وذلك بسبب عطاياه التى قدمها للمعابد .

وقد كان العثور على هذا الحجر إيذانا بفك رموز اللغة الهيروغليفية ، عن طريق مقارنتها بما يقابلها - على ذلك الحجر - من اللغة اليونانية التى كانت مقروءة وقتئذ ، وكان أنجح من حاولوا عقد تلك المقارنة العالم الفرنسى : شمبليون[١] (١٧٩٠ - ١٨٣٢م) - الذى نقل مع تلميذه ومساعده الإيطالى : روزولينى - كثيرا من نصوص اللغة الهيروغليفية ، ثم وضع لها أول أجرومية[٢] .

وقد أمكن - عن طريق فك رموز هذه اللغة ووضع قواعد لها - أن تُقْرأ الكتاباتُ المصرية الموجودة على جدران المعابد والقبور ، وعلى المسلات الفرعونية القديمة ، وبذلك أمكن الكشف عن تاريخ الفراعنة القدماء بوساطة هذا المعجم الصغير الذى كتبه الكهنة بلغتهم الهيروغليفية ، ثم بلغة حاكمهم اليونانى الأصل .

---

(١) انظر : الموسوعة العربية الميسرة : ١ / ٣٧٩ ، ٨٦٩ نشر دار القلم بمصر .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٢ / ١٠٩٤ .

الفصل الثالث

نشأة المعاجم عند العرب

١ - حاجة العرب إلى المعاجم :

أحب - بداية - أن أجيب عن سؤال ربما يرد إلى ذهن قارىء هذا الكتاب ، ألا وهو : هل كان العربي - في الجاهلية وصدر الإسلام - يعرف معنى كل كلمة عربية ؟

والواقع الذى بين أيدينا - من خلال مرويات التراث - يفيدنا :

أن العامة من عرب الجاهلية وما بعدها : كانوا ربما عرفوا الكلام بمفرداته وغابت عنهم معانيه ، وليس ببعيد عنا قصة ذلك الشاعر الذى ضاقت به امرأته لأنه لا يتغزل بها ولا يطرى جمالها ، ولا يبدى إعجابه بمحاسنها ، فقال فيها - مسترضيا - :

ثمّتْ عُبَيْدَةُ إلّا مِنْ مَحَاسِنِهَا ... فالحُسْنُ مِنْهَا بِحَيْثُ الشَّمْسُ والقَمَرُ

قل لِلَّذِى عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِقٍ ... أقْصِرْ ، فرأسُ الَّذِى قد عِبْتَ والحَجَرُ

ومما يثير الدهشة ويدعو إلى العجب . . أن هذه المرأة قد فهمت هذا الكلام على أنه مدح لها وإطراء .

وهذا الذى ذكرت ، لا يقتصر على العامة وإنما يتعدى إلى الخاصة ، بل إلى خاصة الخاصة ممن ملكوا أزمّة البيان وانقادت لهم أساليب البلاغة ، ودانت سبل الفصاحة[1] .

---

(١) د . عبد الله العزازى - المعاجم : الكتاب الأول : ص ٣٠ ط : دار الطباعة المحمدية بمصر .

فها هو أبو بكر (رضى الله عنه) يُسأل عن قوله تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾[1] فيقول[2] : « أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن أنا قلت : فى كتاب الله ما لا أعلم » .

وها هو عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقرأ هذه الآية على المنبر ثم يقول[2] : « هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم يرجع إلى نفسه قائلا : « هذا هو القلف يا عمر »[2] .

وها هو ابن عباس رضى الله عنه – حَبْر هذه الأمة – يقول[2] « كنت لا أدرى ما فاطر السماوات ، حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها » .

كما قال[2] : « كل القرآن أعلمه إلا أربعا : غِسلين وحَنَانًا وأَوَّاه ، والرَّقِيم » . إذن : فقد كان بعض العرب – فى الجاهلية وصدر الإسلام – لا يعرف بعض المعانى العربية ، وبعضهم الآخر لا يعرف معنى بعض الألفاظ العربية .

وكان هذا الحال يدعو إلى وجود معاجم تفسر ما غمض من هذه المعانى وتلك الألفاظ ، فَلِمَ لَمْ توجد هذه المعاجم فى ذلك الوقت ؟

لم توجد معاجم عربية فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام :

بسبب الأمّية التى كانت فاشية بينهم فى ذلك الزمان ، حتى إنه لم يكن فى قريش – حين جاء الإسلام – سوى سبعة عشر رجلا يقرؤون ويكتبون ، ولم يكن فى المدينة – حين دخلها رسول الله ﷺ – سوى أحد عشر رجلا كذلك[3] .

– كما أن العرب لم يختلطوا بغيرهم من الأمم ؛ فيعرفوا منهم نظام المعاجم .

– وأعتقد أن الحاجة إلى المعاجم – فى ذلك الوقت – لم تكن ماسّة ، لأن

---

(١) عبس / ٣١ .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ١ / ١١٣ – ط : ٤ نشر مصطفى البابى الحلبى .
(٣) انظر : فتوح البلدان للبلاذرى : ص ٤٧١ – ٤٧٤ ط ليدن ١٩٦٨م .

العربية كانت لغتهم المصفاة التى يتلقونها عن آبائهم ، منذ نعومة أظفارهم ، والتى لم يُرنِّق صفوها الاختلاط بأعاجم .

ولذلك يمكن القول : إن ما خفى عليهم من الالفاظ أو المعانى لم يكن إلا شيئا يسيرا ، وذِكْرُهُ فى الروايات المروية - تلك - دليل على غرابته وتفرده ، وأن هذا لم يكن ظاهرة عامة أو ضخمة تستدعى نظاما ما ، يفسر لهم ما غمض عليهم .

ولكن عندما نزل القرآن الكريم بلغة عامة العرب ، كان رسول الله ﷺ : يقوم ببيان ما تمس الحاجة إليه من بيان ، وذلك فيما يتصل بمجمل الكتاب وغامِضِه ومتشابهِهِ ، وجميع وجوهه التى لا غنى للأمة عنها ، وبذلك استغنوا عن المعجمات وتوابعها[1] .

فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يرد على كل التساؤلات التى كانت تدور حول القرآن الكريم ، ومن ذلك ما روى من أنه سئل ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [2] فقال - فيما يرويه عنه أنس رضى الله عنه - : « للذين أحسنوا العمل فى الدنيا : لهم الحسنى وهى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم »[3] .

***

(١) انظر : تهذيب اللغة لابى منصور الازهرى - بتحقيق عبد السلام هارون : ١ / ٤ - ط دار القومية العربية للطباعة ١٩٦٤م .

(٢) يونس / ٢٦ .

(٣) تفسير القرطبى : ٨ / ٣٣٠ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وإلى من كان يتجه العرب بالسؤال ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ؟

كانوا يتجهون إلى أهل العلم باللغة ، فيسألونهم عما غمض عليهم فى كتاب الله تعالى ، وكان أهل العلم يؤدون عمل المعاجم[1] فيجيبونهم إجابة مستوحاة مما يحفظون من شعر وَيَعُونَ من نثر ، حيث كان الشعر - المحفوظ رِوَايَةً - يعد ديوان العرب الذى يراجعونه حين يخفى عليهم معنى أو لفظ .

وفى ذلك يقول ابن عباس[2] (رضى الله عنه) : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه » .

ويقول - أيضا[3] - : « إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا فى الشعر ، فإن الشعر عربى » .

ابن عباس يقوم بدور المعجم :

وقد كان ابن عباس (رضى الله عنه) - بما وهبه الله من العلم - يقوم بدور المعجم العربى فى صدر الإسلام ، وكان يجلس فى فناء الكعبة ليسأله الناس عن تفسير القرآن الكريم .

ويبدو أن إقبال الناس عليه ، والتفافهم حوله ؛ ليسألوه عما غمض عليهم ، أثار حفيظة نفر آخر من الناس ! فذهبوا إليه مُتَحَدِّين له ، ظنا منهم أنه يجترئ على تفسير كتاب الله بما لا يعلم[4] .

ومن هؤلاء النفر : نافع بن الأزرق ، الذى قال لصاحبه نجدة بن عويمر[4] :

---

(١) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ٤٠ .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ١ / ١٥٧ .
(٣) المرجع السابق - نفس المكان .
(٤) المرجع السابق - نفس المكان .

قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين .

فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ [المعارج : ٣٧] . قال : العزون : حَلَقُ الرفاق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عَبِيدَ بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهرعون إليه حتى يكونوا حول مِنْبَرِه عِزِينَا

قال : أخبرنى عن قوله : ﴿ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] قال : الوسيلة : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجَالَ لهم إليكِ وسيلةٌ إن يأخذوكِ تكحَّلى وتخضَّبى

قال : أخبرنى عن قوله : ﴿ شِرْعَةً ومِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، قال : الشِّرعة : الدين ، والمنهاج الطريق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول :

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبَيَّن للإسلام دينا ومَنْهَجًا

الخ . . ذلك من الأسئلة والإجابات التى احتلت زهاء سبع عشرة صفحة – من القطع الكبير – من كتاب : الإتقان فى علوم القرآن .

***

الباب الثانى

بواكير المعاجم العربية

الفصل الأول

غريب القرآن

تمهيد :

جاء التأليف المعجمى العربى حسب حاجة الناس .

ولما كان العرب – فى صدر الإسلام – يعرفون الكثير والكثير من لغتهم فإنهم لم يحتاجوا – فى هذه الوقت – إلى معاجم تجمع لهم هذه اللغة وتشرحها . . وإنما كانوا يحتاجون إلى من يفسر لهم بعض كلمات القرآن الكريم ، وبعض كلمات حديث رسول الله ﷺ .

ومن هنا فقد رأينا أصحاب العلم – فى هذا الزمان – يتسابقون إلى إرواء ظمأ الناس فى هذا المجال ، فظهر ما يعرف بغريب القرآن ، وما يعرف بغريب الحديث .

ثم رأى أصحاب العلم هؤلاء ، أن محصولهم اللغوى الذى ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، قد لا يسعفهم فى هذين المجالين ، فخفوا سراعا إلى البادية يجمعون منها الألفاظ التى لم يعرفوها من قبل ، وتكوّن منهم فريق يعرف بجُمَّاع اللغة .

وهؤلاء الجَمَّاعون للغة لم تكن عندهم الخبرة الكافية – فى أول الأمر – للجمع ، ولذلك كانوا يجمعون كيفما اتفق ، دون ترتيب أو تنظيم .

لكنهم ما لبثوا أن أدركوا أن طريقة الجمع العشوائية هذه لا تسمن ولا تغنى

من جوع ، ولا تفيدهم - أو غيرهم - فى تفسير كتاب الله وحديث رسوله ﷺ ، فحاولوا أن ينظموا ما جمعوه فى رسائل مختلفة الأشكال والأغراض .

ولذلك يمكن القول : إن هذه المرحلة تجمع بين صنفين من التآليف المعجمية المبكرة :

الصنف الأول : رسائل تدور حول غريب القرآن والحديث .

الصنف الثانى : رسائل تجمع فيها الألفاظ والكلمات العربية المختلفة من البادية .

وسوف أحاول إلقاء الضوء على كل صنف منها .

أولا : غريب القرآن :

عرفنا - مما سبق - أن العرب الذين أنزل القرآن الكريم بلغتهم ، لم يكونوا جميعا متساوين فى فهمهم له ، بل كان بعضهم تغمض عليه الكلمة منه والكلمات ، ولذلك كانوا فى حاجة إلى من يفسرها لهم - وخاصة بعد وفاة الرسول ﷺ - وقد تصدى لهذه المهمة ، وقام بها خير قيام : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت ٦٨هـ) ابن عم النبى ﷺ .

ولذلك أُثر عنه أول أثر من آثار تفسير غريب القرآن الكريم .

وهذا الأثر لم يكن كتابا بالمعنى المفهوم للكتاب اليوم ، وإنما هو مجموعةُ مَرْوِيَّات منسوبة إلى عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) رواها عنه : البخارى (١٩٤ - ٢٥٦هـ) فى صحيحه ، وابن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠هـ) فى تفسيره .

كما دون السيوطى فى كتابه : (الإتقان فى علوم القرآن) عدة صفحات[1]

---

(١) انظر : الإتقان : ١ / ١١٤ - ١١٩ .

فى هذا الصدد .

فأما البخارى :

فقد روى عن ابن عباس ما نقله الثقات عنه فى تفسير القرآن الكريم ، فى (كتاب التفسير) .

– ومن أمثلة ذلك ما رواه البخارى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم القِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ ﴾ . . إلى قوله : ﴿ عَذَابٌ أَلِيم ﴾[1] .

قال البخارى[2] : حدثنا الحُميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : سمعت مجاهدا قال : سمعت ابن عباس (رضى الله عنهما) يقول : كان فى بنى إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله تعالى لهذه الأمة : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاص فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالعَبدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى ﴾ .

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ ، فالعفو : أن يقبل الدية فى العمد .

﴿ فَاتِّبَاع بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلِيهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ : يتبع بالمعروف ويؤدى بإحسان .

﴿ ذٰلِكَ تَخْفِيف مِن رَّبِّكُم وَرَحْمَةٌ ﴾ : مما كتب على من كان قبلكم .

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيم ﴾ : قَتَل بَعْد قَبُول الدية .

– وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّه ﴾[3] .

قال البخارى[4] : « وقال ابن عباس : « إِصْرًا » : عهدا . ويقال غفرانك :

(١) البقرة : ١٧٨ .
(٢) صحيح البخارى بشرح الكرمانى : ١٧ / ٢٠ .
(٣) البقرة : ٢٨٥ .
(٤) صحيح البخارى بشرح الكرمانى : ١٧ / ٤٧ .

مغفرتك ، فاغفر لنا .

وأما ابن جرير الطبرى :

فقد كان تفسيره بالمأثور مما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم والذين كان منهم ابن عباس (رضى الله عنهما) ، ذلك الذى امتلأ كتاب تفسير ابن جرير ، بما روى عنه من طرق مختلفة .

ومن ذلك :

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم ﴾ [البقرة : ٤٤] .

قال ابن جرير[1] :

اختلف أهل التأويل فى معنى (الْبِرِّ) الذى كان المخاطبون بهذه الآية يأمرون الناس به وينسون أنفسهم ، بعد إجماع جميعهم على أن كل طاعة لله فهى تسمى (بِرًّا) ، فروى عن ابن عباس ما :

- حدثنا به ابن حُميد قال : حدثنا سلمة عن ابن اسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أى : أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهدة من التوراة ، وتتركون أنفسكم ، أى : وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى ؟

---

(١) تفسير الطبرى - بتحقيق محمود محمد شاكر : ٢ / ٧ - نشر دار المعارف بمصر .

- حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : حدثنا بشر بن عمارة عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ أتأمُرونَ النَّاسَ بالبِرّ ﴾ ، يقول : أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ ، وغير ذلك مما أُمِرْتم به من إقامة الصلاة وتنسون أنفسكم .

٢ - وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة / ٤٤] .

قال ابن جرير[1] :

يعني بقوله : ﴿ تتلون ﴾ ، تدرسون وتقرأون ، كما حدثنا أبو كريب عن أبي رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس : ﴿ وَأَنتُم تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ ، يقول : تدرسون الكتاب بذلك .

٣ - وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] .

قال ابن جرير :[2] .

حدثنا محمد بن العلاء قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك عن ابن عباس ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُون ﴾ ، يقول : أفلا تفهمون ؟ ينهاهم عن هذا الخُلُق القبيح .

ونلحظ من هذه الأمثلة اليسيرة التي رويت عن ابن عباس في صحيح البخاري وفي تفسير الطبري : أن ابن عباس (رضي الله عنهما) لم يكن يشرح معنى الكلمة الغامضة فقط ، بل كان يفسر الآية بأكملها أحيانا ، ويشرح معنى الكلمة المفردة أحيانا أخرى ، حين كان السياق القرآني يقتضي ذلك ، ولو

---

(١) تفسير الطبري : ٩/٢ .

(٢) المرجع السابق : ٢ / ١٠ .

استعرضنا نماذج أخرى : لوجدناه يوضح أسباب النزول وناسخ الآيات ومنسوخها[1] ، إلى غير ذلك .

وأما السيوطي :

فقد دون في كتابه : (الإتقان في علوم القرآن) عدة صفحات (من ص ١١٤ - ١/١١٩) تشتمل على ما وصل إليه من أقوال ابن عباس في هذا الصدد .

وقد بدأها بمقدمة قال فيها[2] : « النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه (أي القرآن الكريم) : أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ، منهم : أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد . . . . . . ثم قال[3] : « وأولى ما يرجع إليه في ذلك : ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ، وها أنذا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق عنه ، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه[4] مرتبا على السور » .

وبعد أن ذكر السيوطي أسانيد الكلمات القرآنية المفسرة ذكرها هكذا :

يُؤْمِنُونَ : يصدقون .

يَعْمَهُونَ : يتمادون .

مُطَهَّرَةٌ : من القذر والأذى .

الْخَاشِعِينَ : المصدقين بما أنزل الله .

وكان آخر الألفاظ القرآنية المفسرة هي[5] :

---

(١) تفسير الطبري : ٣ / ٣٨٨ - ٣٩٢ .

(٢) الإتقان : ١ / ١١٤ .

(٣) المرجع السابق : نفسه .

(٤) نقل البخاري عن غير طريق ابن أبي طلحة ، مثل مجاهد - انظر صحيح البخاري بشرح الكرماني : ١٧ / ٢٠ .

(٥) الاتقان : ١ / ١١٩ .

يَتَمَطَّى : يختال .

أَتْرَابًا : فى سنٍّ واحد : ثلاث وثلاثين سنة .

مَتَاعًا لَكُم : منفعة .

مُرْسَاها : منتهاها .

مَمْنُون : منقوص .

ونلحظ على ما ذكر : أن التفسير الوارد عن ابن عباس – فى الإتقان – كان موجزا ومختصرا ، لا شرح فيه ولا إسهاب ، ولا بيان لسبب النزول ولا للناسخ والمنسوخ ، بخلاف ما ورد فى صحيح البخارى وتفسير القرطبى عن ابن عباس .

كما أن الألفاظ لم تكن مرتبة أى ترتيب معجمى ، وإنما رتبت حسب أماكنها فى سور القرآن الكريم .

وفى اعتقادى أن هذا الترتيب وذاك الاختصار لم يكن من عند ابن عباس (رضى الله عنهما) ، وإنما كان من الرواة الذين رَوَوا عن ابن عباس ، أو كان من السيوطى بتصرف منه ، بدليل أن السيوطى نفسه لم ينهج هذا المنهج فى تفسيره المعروف : (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) ، فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

قال السيوطى[١] : « وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . . . الآية . . قال : كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبى ﷺ – أو بعضهم – قالوا : إنا على دينكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم – وهم إخوانهم – قالوا : إنا معكم ، أى : على مثل ما أنتم عليه . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، قال : ساخرون بأصحاب محمد . ﴿ اللَّهُ

---

(١) الدر المنثور : ١ / ٣١ ط المطبعة الإسلامية بطهران .

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ قال : يسخر بهم ، للنقمة منهم . ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ قال : فى كفرهم . ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ قال : يترددون .

ففى هذا النموذج من التفسير المنسوب إلى ابن عباس : نجده يذكر أسباب النزول ، ثم يفسر كلمات الآية كلمة كلمة ، ويبين معناها ، وهذا خلاف ما ذكر من تفسير له فى كتاب الإتقان ، ذلك الذى أشبه التفسير المعجمى .

كما نلحظ أن كلمة « يَعْمَهُون » فُسرت هنا بمعنى : يترددون وهذا التفسير مسند إلى ابن عباس ، ولكن مما يثير الحيرة أنها فسرت فى الإتقان مسندة إلى ابن عباس - أيضا - بمعنى : يتمادون .

وهذا يدل على أن الطريق الذى روى عنه السيوطى فى (الإتقان) غير الطريق الذى روى عنه فى (الدر المنثور) .

غريب القرآن بعد ابن عباس :

١ - أول كتاب فى غريب القرآن - ورد ذكره - بعد الذى روى عن ابن عباس هو كتاب : (الغريب فى القرآن) لمؤلفه : أبان ابن تَغْلب بن رَبَاح الجريرى ، أبو سعيد البكرى ، المتوفى سنة ١٤١هـ .

فقد ذكر ياقوت الحموى هذا الكتاب منسوبا إلى أبان أثناء ترجمته له ، حيث قال عنه[1] : « كان قارئا فقيها لغويا نبيها ، وسمع العرب وحكى عنهم ، وصنف كتاب الغريب فى القرآن ، وذكر شواهده من الشعر » .

٢ - غريب القرآن - لمحمد بن السائب الكلبى - ت ١٤٦هـ .

٣ - غريب القرآن : لمؤرج بن عمرو السدوسى البصرى - ت ١٧٤هـ .

٤ - معانى القرآن : لعلى بن حمزة الكسائى - ت ١٨٢هـ .

٥ - غريب القرآن - للنضر بن شميل - ت ٢٠٣هـ .

---

(١) معجم الأدباء : ١ / ١٠٧ ، ١٠٨ - نشر دار المأمون ، وانظر : هدية العارفين : ١ / ١ .

٦ - مجاز القرآن - لقطرب : محمد بن المستنير - ت ٢٠٦هـ .

٧ - غريب القرآن - للفراء : يحيى بن زياد - ت ٢٠٧هـ .

٨ - مجاز القرآن - لأبي عبيدة : مَعْمَر بن المثنى - ت ٢١٠هـ .

٩ - معاني القرآن - للأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة - ت ٢١٦هـ .

١٠ - غريب القرآن - لأبي عبيد القاسم بن سلام - ت ٢٢٤هـ .

وغيرهم كثير ممن ألفوا في غريب القرآن(١) .

ونلحظ هنا أن عناوين هذه الكتب قد تراوحت ما بين : « غريب القرآن » و« معاني القرآن » و« مجاز القرآن » .

وقد ظن بعض الباحثين المتأخرين أن هذه العناوين غير مترادفة ولذلك عدوا كتب « مجاز القرآن » من كتب البلاغة لا من كتب التفسير وهذا وهم منهم ، لأن هذه الكتب - على اختلاف عناوينها - تدور في فلك واحد ، ألا وهو تفسير غريب القرآن الكريم (٢) .

ابن قتيبة وغريب القرآن :

وكما بَدَأْت - في مجال غريب القرآن - بابن عباس ، فإنني أختم - هذا المجال - بابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري : ٢١٣ - ٢٧٦هـ) ذلك الذي أخرج لنا كتابا في غريب القرآن أسماه : (تفسير غريب القرآن) ، واستفاد فيه من المؤلفين السابقين له في هذا المجال ، كما سأوضح بعد .

وقد طبعت هذا الكتاب دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة في سنة ١٩٥٨م ، بتحقيق : السيد أحمد صقر ، فخرج إلى الوجود منظما ، مُشَكَّلا ، مُفَهْرَسا ، وافيا بالغرض منه .

---

(١) انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفة ٢ / ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١ / ١١٣ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة - مقدمة المحقق (السيد أحمد صقر) : ص (ج) ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٨ .

غرض الكتاب ومنهجه :

بين لنا ابن قتيبة غرضه من تأليف هذا الكتاب ، ومنهجه الذى سار عليه ، حيث قال فى تقديمه له[1] :

وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا :

- أن نختصر ونكمل .
- وأن نوضح ونجمل .
- وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل (أى : المعروف) .
- ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل (أى : الذى كثر استعماله) .
- وأن لا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد .

مراجعه :

ثم تحدث عن المراجع التى رجع إليها ، وكيفية استقائه منها ، فقال[2] :

وكتابنا هذا مستنبط من :

- كتب المفسرين .
- وكتب أصحاب اللغة العالِمين .
- لم نخرج فيه عن مذهبهم .
- ولا تَكَلَّفْنا فى شىء منه بآرائنا غير معانيهم ، بعد اختيارنا فى الحرف أَوْلى الأقاويل فى اللغة وأشبَهَها بالآية .
- ونبذنا منكر التأويل ومنحول التفاسير .

أقسامه :

قسم ابن قتيبة كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول تحت عنوان : اشتقاق أسماء الله الحسنى وصفاته ، وإظهار معانيها ، وقد فسر فيها ستة وعشرين حرفا من الحروف المعبرة عن ذلك[1] .

---

(١) تفسير غريب القرآن – ص ٣ .

(٢) المرجع السابق – نفسه .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٦ – ٢٠ .

والقسم الثانى تحت عنوان : باب تأويل حروف كثرت فى الكتاب ، وخصص هذا الباب لتفسير بعض كلمات القرآن التى كثر ترديدها فى القرآن الكريم ولم ير بعض السور أولى بها من بعض .

وقد تناول فى هذا الباب أربعين كلمة .

والقسم الثالث (وهو القسم الأكبر الذى من أجله أُلِّفَ الكتاب ألا وهو) : تفسير غريب القرآن الكريم ، بدءًا من سورة الحمد إلى نهاية القرآن الكريم ، على حسب الترتيب المعروف للمصحف الشريف .

نماذج من الكتاب

أولا : من باب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته وإظهار معانيها[1] :

١ - « ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ » صفتان مبنيتان من الرحمة ، قال أبو عبيدة : وتقديرهما : ندمان ونديم .

٢ - ومن صفاته : « السَّلَامُ » قال[2] : ﴿ السَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] ومنه سمى الرجل : عبد السلام ، كما يقال : عبد الله .

ويرى أهل النظر - من أصحاب اللغة - : أن « السَّلام » بمعنى السلامة ، كما يقال : الرَّضاع والرَّضاعة واللَّذاذ واللَّذاذة .

قال الشاعر :

تُحَيِّى بالسلامة أمُّ بكر   فهل لكِ بعد قومِك من سلام

فسمى نفسه جل ثناؤه - « سَلَاما » : لسلامته مما يلحق الخلق : من العيب والنقص ، والفناء والموت .

قال الله جل وعز : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ ﴾ [يونس : ٢٥]

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة - بتحقيق السيد أحمد صقر : ص ٦ ، ٧ .
(٢) أى : قال الله تعالى .

فالسلام : الله ، وداره : الجنة . يجوز أن يكون سماها « سَلَامًا » : لأن الصائر اليها يَسْلَم فيها من كل ما يكون فى الدنيا من مرض ووَصَب وموت وهَرَم ، واشباه ذلك . فهى دار السلام ومثله : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ .
[الأنعام : ١٢٧]

ومنه يقال : السَّلَامُ عَلَيْكُم ، يراد : اسم السلام عليكم ، كما يقال : اسم الله عليكم .

وقد بين ذلك لِبِيد فقال :

إلى الحَوْل ثم اسم السلام عليكما ومن يَبْك حَوْلا كاملا فقد اعتذر

ويجوز أن يكون معنى « السلام عليكم » السلامة لكم ، وإلى هذا المعنى يذهب من قال : « سلام الله عليكم ، وأَقْرِىءْ فلانا سَلَامَ اللّهِ » .

وقال : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٩٠ ، ٩١] يريد : فسلامة لك منهم أى : مخبرك عنهم بسلامة ، وهو معنى قول المفسرين :

ويسمى الصواب من القول « سَلامًا » لأنه سَلِم من العيب والإثم . قال : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، أى : سدادا من القول .

ثانيا : من باب تأويل حروف كَثُرَث فى الكتاب[1] :

١ - « الجِنّ » من « الاجتنان » وهو الاسْتِتَار ، يقال للدرع جُنَّةٌ ، لأنها سترت ويقال : أَجَنَّهُ الليل ، أى : جعله من سواده فى جُنَّة ، وجَنَّ عليه الليل .

وإنما سُمُّوا جِنًّا : لاستتارهم عن أبصار الإنس .

وقال بعض المفسرين فى قوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

(١) تفسير غريب القرآن : ص ٢١ ، ٢٢ .

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف : ٥٠] ، أى : من الملائكة فسماهم جنا : لاجتنانهم واستتارهم عن الأبصار .

وقال الأعشى – يذكر سليمان النبى ﷺ – :

وسَخَّر من جِنِّ الملائِكِ تسعةً قياما لدَيْه يعملون بِلَا أجْـرِ

٢ – وسُمِّى « الإنْسُ » إنْسًا : لظهورهم ، وإدراك البصر إياهم . وهو من قولك : آنسْت كذا ، أى : أبصرته ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ إِنِّى آنَسْتُ نَارًا ﴾ [طه : ١٠ ، والنمل : ٧ ، والقصص : ٢٩) أى : أبصرت .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : إنما سمى إنسانا : لأنه عُهِدَ إليه فَنَسِىَ .

وذهب إلى هذا قوم من أهل اللغة ، واحتجوا فى ذلك بتصغير إنسان ، وذلك أن العرب تصغره « أُنَيْسَان » بزيادة ياء ، كأن مُكَبَّره « إِنْسِيَان » – إفعلان – من النسيان ، ثم تحذف الياء من مُكَبَّرِه استخفافا : لكثرة ما يجرى على اللسان ، فإذا صُغِّر : رجعت الياء ورد إلى أصله ، لانه لا يَكْثُر مُصَغَّرا كما يُكَثَّر مكبرا .

والبصريون يجعلونه : « فُعلانا » على التفسير الأول ، وقالوا زيدت الياء فى تصغيره ، كما زيدت فى تصغير ليلة ، فقالوا : لُيَيْلَة وفى تصغير رجل ، فقالوا : رويجل .

ثالثا : من تفسير غريب القرآن عامة :

[سورة البقرة][1] .

١ – ﴿ الم ﴾ قد ذكرت تأويله وتأويل غيره من الحروف المقطعه فى كتاب « المشكل »[2] .

---

(١) تفسير غريب القرآن : ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة – بتحقيق السيد أحمد صقر : ص ٢٣٠ – ٢٣٩

٢ - ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لا شك فيه .

﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أى : رشدا لهم إلى الحق .

٣ - ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ أى : يصدقون بإخبار الله - عز وجل - عن الجنة والنار ، والحساب والقيامة ، وأشباه ذلك .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ أى : يزكون ويتصدقون .

٤ - ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ : من الفلاح : وأصله البقاء ومنه قول عَبِيد :

أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فقد يَبْلغُ بالضَّـ ـعْـفِ وقـد يُخْـدَعُ الأرِيبُ[1]

أى : ابق بما شئت من كَيْس أو غَفْلة .

فكأنه قيل للمؤمنين : مفلحون لفوزهم بالبقاء فى النعيم المقيم ، هذا هو الأصل . ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزم ، وتكاملت فيه خلال الخير .

٥ - ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قلوبهم وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ بمنزلة : طبع الله عليها . والخاتم بمنزلة الطابع ، وإنما أراد أنه أقفل عليها وأغلقها فليست تعى خيرا ولا تسمعه ، وأصل هذا : أن كل شيء ختمته : فقد سددته وربطته .

ثم قال عز وجل : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ ابتداء ، وتمام الكلام الأول عند قوله : ﴿ وعلى سمعهم ﴾ .

والغِشَاوة : الغطاء ، ومنه يقال : غَشِّه بثوب ، أى : غطه ومنه قيل : غاشية السَّرج ، لأنها غطاء له ، ومثله قوله : ﴿ لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١] .

ملاحظات على الكتاب :

١ - نلحظ - من خلال تلك النماذج السابقة الذكر - أن ابن قتيبة قد حافظ

---

(١) ومعنى البيت : عش بما شئت من عقل وحمق ، فقد يرزق الأحمق ويُحرم العاقل .

على عهده ووعده فى مقدمته ، فجاء كتابه منظما مختصرا لا استطراد فيه ، مبينا للغامض ، ومفسرا لما يحتاج إلى تفسير ، ومُوردا من الشواهد والأمثلة والآراء : ما يدل على ذلك فى أضيق مجال ، مما جعل كتابه خفيفا ، أثيرا لدى قلوب القراء .

٢ – ويلحظ المحققون أن ابن قتيبة اعتمد فى كتابه هذا : على كتاب (مجاز القرآن) لأبى عبيدة (ت ٢١٠هـ) ، ومعانى القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ) : أكبر اعتماد ، وانتفع بهما انتفاعا عظيما ، حتى إنه – فى بعض المواطن – كان ينقل لفظهما بنصه وفصه . ولم يكن ابن قتيبة مجرد ناقل لكلامهما أو كلام غيرهما ، بل إنه أخذ من الجميع أخذ العالم البصير الذى يعرف ما يأخذ وما يذر ، وتظهر شخصيته فى كتابه قوية ، واضحة المعالم ، بينة القسمات ، وكثيرا ما نقد رأى أبى عبيدة والفراء نقدا جريئا لاذعا حينا ، وهادئا أحيانا[1] .

٣ – وكما استفاد ابن قتيبة ممن سبقوه ، فقد أفاد من جاءوا بعده من المفسرين كالقرطبى (ت ٦٧١هـ) والفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ) وأبى حيان الأندلسى (ت ٧٤٥هـ) وكذلك الطبرى (ت ٣١٠هـ) الذى « انتفع بكتاب الغريب هذا انتفاعا كبيرا ، ونقل ألفاظه – فى بعض المواطن – نقلا حرفيا ، دون أن يشير إلى ابن قتيبة بأية اشارة واضحة ، أو مبهمة كالواضحة »[2] .

❊❊❊

(١) السيد أحمد صقر – مقدمة غريب تفسير القرآن : ص (ج ، د) .

(٢) المرجع السابق : (ص (د) .

الفصل الثانى

غريب الحديث

تأخر التأليف – فى هذا النوع – زمنا طويلا ، لأن رسول الله ﷺ كان يخاطب العرب – على اختلاف شعوبهم وقبائلهم – بما يفهمونه ، ولذلك قال له الإمام علي – رضى الله عنه – حين سمعه يخاطب وفد بنى نهد[1] : « يا رسول الله : نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره » .

فقال له رسول الله ﷺ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وربيت فى بنى سعد »[2] .

ولذلك فقد كان أصحابه ﷺ يعرفون ما يقول ، ونادرا ما كان يغمض عليهم شىء من أقواله فيسألونه عنه .

واستمر الحال هكذا إلى وفاة النبى ﷺ .

وجاء عصر الصحابة جاريا على هذا النمط ، فكان اللسان العربى ، عندهم صحيحا لا يتداخله الخلل إلى أن فتحت الأمصار ، وخالط العرب غيرَ جنسهم فامتزجت الألسن وتداخلت اللغات ، ونشأ بينهم الأولاد ، فتعلموا من اللسان العربى ما لابد لهم فى الخطاب وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه ...

---

(١) نهد : قبيلة من قبائل اليمن – اللسان : نهد .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر – لابن الأثير – بتحقيق : طاهر الزاوى وآخر : ١ / ٤ . نشر : دار إحياء الكتب العربية بمصر – ١٩٦٣م .

وتمادت الأيام الى أن انقرض عصر الصحابة وجاء التابعون فسلكوا سبيلهم ، ولكنهم قلوا فى الإتقان عددا ، فما انقضى زمانهم إلا واللسان العربى قد استحال أعجميا أو كاد ، فلا ترى المستقل به والمحافظ عليه إلا الآحاد .

فلما أعْضَل الداء : ألهم الله سبحانه وتعالى جماعة من أهل المعارف أن يصرفوا إلى هذا الشأن (شرح غريب الحديث) طرَفًا من عنايتهم ، فشرعوا فيه حراسة لهذا العلم الشريف .

فقيل إن أول من جمع فى هذا الفن شيئا : هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـ[١] .

كتاب غريب الحديث لأبى عبيدة :

وكان كتابه المسمى بغريب الحديث : « صغيرا ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته لجلهه (أى أبى عبيدة) بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن كل مبتدىء بشىء لم يُسبق اليه ، ومبتدع لامر لم يُتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر .

والثانى : أن الناس كان فيهم يومئذ بقيةٌ ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ولا الخطب قد طَمّ[٢] .

وقد أيد الخطيب البغدادى هذا الرأى القائل بأن أبا عبيدة هو أول من ألف فى هذا المجال ، حيث قال[٣] : « وكتاب غريب الحديث : أول من عمله : أبو عبيدة معمر بن المثنى[٤] وقطرب[٥] والأخفش[٦] والنضر بن شميل[٧] ، ولم

---

(١) النهاية فى غريب الحديث : ٤/١ ، ٥ بتصرف .

(٢) المرجع السابق : ص ٥ .

(٣) تاريخ بغداد : ١٢ / ٤٠٥ ط مطبعة السعادة ١٩٣١م .

(٤) توفى سنة ٢١٠هـ .

(٥) هو : محمد بن المستنير - ت ٢٠٦هـ واسم كتابه : غريب الآثار .

(٦) هو : سعيد بن مسعدة المجاشعى - ت ٣١٥هـ - انظر : طبقات النحويين واللغويين : ص ٧٢ - ٧٤ .

(٧) توفى سنة ٢٠٤هـ .

يأتوا بالأسانيد » .

غريب الحديث لأبي عبيد :

ثم توالى التأليف فى غريب الحديث من كثير من العلماء[1] ، إلا أنهم كانوا متشابهين فى تآليفهم ومناهج تأليفهم ، إلى أن جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ ، فألف كتابه : (غريب الحديث) وجمع فيه عامة ما فى كتب السابقين ، وفسر الألفاظ الغريبة فى حديث رسول الله ﷺ ، مع ذكر الأسانيد ، زيادة فى توثيق الحديث ، واستغرق منه ذلك : أربعين عاما .

وقد قسم كتابه إلى قسمين :

الأول : خاص بالأحاديث المسندة إلى رسول الله ﷺ .

والثانى : الأحاديث المسندة إلى الصحابة والتابعين ، مع إفراد كل واحد منهم بأحاديثه .

وبذلك « أجاد تصنيفه فَرَغِبَ فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه »[2] .

وإليك نموذجا مما كتبه أبو عبيد فى كتابه : (غريب الحديث) :

قال أبو عبيد – فى حديث النبى ﷺ : « إن أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون »[3] – :

حدثناه يزيد عن داود بن أبى هند عن مكحول عن أبى ثعلبة الخشنى قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أَبْغَضَكُم إلَىّ الثَّرْثَارُونَ المُتَفَيْهِقُونَ » .

---

(١) انظر : الفهرست للنديم : ص ٢٩٦ ومقدمة تحقيق النهاية فى غريب الحديث : ص ٣ – ٨ .

(٢) تاريخ بغداد : ١٢ / ٤٠٥ .

(٣) المخطوط رقم ١٢٤ حديث ق ورقة : ٦ ، ٧ بدار الكتب المصرية .

قال الأصمعي : أصل الفهق : الامتلاء بمعنى المتفيهق : الذى يتوسع فى كلامه ، ويفهق به فمه ونحو ذلك .

قال الأعشى :

تروح على آل المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كجَابِيةِ الشيخ العراقِى تَفْهَقُ[1]

يعنى : الامتلاء .

وقال غيره (أى غير الأصمعى) : الثرثار المكثار فى الكلام .

وقال الفراء مثل قول الأصمعى أو نحوه .

قال أبو عبيد : وهذا يؤول إلى المعنى الذى فسره الأصمعى وغيره ، لأن ذلك إنما يكون من التكبر .

***

وقال أبو عبيد فى حديث النبى ﷺ فى مكة : « لا تزول حتى يزول أخشباها » :

قال الأصمعى : الأخشب : الجبل ، قال : وأراه يعنى الغليظ .

وأنشد الأصمعى :

* وتحسب فوق الشَّوْل منه أُخْشَبَا *

يعنى البعير ، شبه ارتفاعه فوق النوق بالجبل .

***

---

(١) الجَفْنَةُ : أعظم ما يكون من القصاع ، والجابية : الحوض الضخم ، تفهق : أى تمتلىء الجفنة – اللسان : (جبى ، جفن) .

وقال أبو عبيد فى حديث النبى ﷺ « إِذَا دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ » .

قال : حدثناه حجاج عن أبى جريج عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبى ﷺ قال : فكان ابن عيينة يحدثه عن الزهرى ولا يذكر أسارير وجهه .

وقال أبو عمرو : هى الخطوط التى فى الجبهة ، مثل التكسر فيها ، واحدها سِرَرٌ وسُرٌّ ، وجمعه : أسْرار وأسِرَّة .

قال : وكذلك الخطوط فى كل شىء ، قال عنترة :

بزجاجة صفراء ذاتِ أسِرَّة　　قرنت بأزهر فى الشمال مقدمُ

ثم الأسارير : جمع الجمع .

وقال الأصمعى – فى الخطوط التى فى الكف – : هى مثلها ، قال الأعشى :

فانظر إلى كفٍّ وأسْرارِها　　هل أنت إن أوْعدتنى ضَايِرى

يعنى خطوط باطن الكف . انتهى .

ومن هذا النموذج يتبين لنا أن أبا عبيد :

١ – كان يذكر إسناد بعض الأحاديث ويهمل إسناد بعضها الآخر .

٢ – وأنه كان يفسر الألفاظ الغريبة – فى حديث رسول الله ﷺ – تفسيرا لغويا مسهبا ، مستعينا – فى ذلك التفسير –: بآراء من تقدموه من اللغويين مثل : الأصمعى (عبد الملك بن قريب – ت ٢١٦هـ) . والفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد – ت ٢٠٧هـ) .

٣ – وأنه كان يستشهد بأشعار العرب فى كثير من الأحيان .

٤ – وأنه لم يرتب الألفاظ المفسرة أى ترتيب كان ، يسهِّل وصول القارىء إلى مبتغاه من أقصر طريق .

غريب الحديث لابن قتيبة :

وعلى الرغم من أن كتاب أبي عبيد لم يكن مرتبا ترتيبا معجميا يسهل الوصول إلى كل كلمة فيه : إلا أنه بقي فى أيدى الناس ، يرجعون إليه ويعدونه مصدرهم الوحيد فى غريب الحديث ، إلى أن جاء ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم – ت ٢٦٦هـ) فصنف كتابا فى غريب الحديث والآثار ، اقتفى فيه أثر أبي عبيد « ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة فى كتاب أبي عبيد ، إلا ما دعت إليه حاجة من زيادة شرح وبيان ، أو استدراك ، أو اعتراض ، فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر منه ، وقال فى مقدمته . . . أرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال »[1] .

هذا وقد بحثت عن هذا الكتاب فى مظان وجوده ، ولكنى لم أعثر على أثره ، ويبدو أنه فقد فى رحلة الزمان فلم يصل إلينا .

النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير :

وظل التأليف فى غريب الحديث يحث الخطى نحو الكمال حتى انتهى إليه – تقريبا – فى كتاب : (النهاية فى غريب الحديث) لابن الأثير (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزرى ٥٤٤ – ٦٠٦هـ) ذلك الذى اطلع على ما سبقه من تآليف فى غريب الحديث فاستفاد منها ، وزاد عليها « فى استقصاء معجز ، ودأب مشكور بحيث جاء كتابه بحق : النهاية فى هذا الفن الشريف ، ولم تند عنه إلا أحاديث يسيرة ذكرها السيوطى فى (الدر النثير) وفى (التذييل والتذنيب)[2] .

ولم يذكر التاريخ أن أحدا صنف فى هذا الفن بعد ابن الأثير سوى ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)[3] ذلك الذى عَدَت يد الحدثان على كتابه فلم يصل إلينا[4] .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث : ١ / ٦ .

(٢) مقدمة محققى النهاية فى غريب الحديث : ص ٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ص ٨ .

(٤) انظر : المعجم العربى – د . حسين نصار : ١ – ٦٠ .

وكل الجهود التى بذلت – فى هذا الفن بعد ذلك – إنما كانت عبارة عن تذييلات على كتاب النهاية أو اختصارات له[1] .

تأثره :

تأثر ابن الأثير – فى تأليفه لكتابه – بعالِمَين جليلين سبقاه فى هذا المجال ، وخَطَوَا بهذا العلم خطوات واسعة قفزت به إلى الأمام وهما :

١ – أبو عبيد أحمد بن محمد الهروى (ت ٤٠١هـ) صاحب كتاب : غريبى القرآن والحديث ، الذى وصفه ابن الأثير[2] : بأنه « رتبه مقفى على حروف المعجم ، على وضع لم يُسْبق – فى غريب القرآن والحديث – إليه ، فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها ، وأثبتها فى حروفها وذكر معانيها :

إذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف : معرفة الكلمة الغريبة لغة وإعرابا ، لا معرفة : متون الأحاديث والآثار / وطرق أسانيدها / وأسماء رواتها ؛ فإن ذلك علم مستقل بنفسه ، مشهور بين أهله » .

٢ – أبو موسى محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى المدينى الأصفهانى (المتوفى ٥٨١هـ) . ذلك الذى جمع فى كتابه : عن غريب القرآن والحديث – « ما فات الهروى من غريب القرآن والحديث وما يناسبه قدرا وفائدة ، ويماثله حجما وعائدة ، وسلك فى وضعه : مسلكه وذهب فيه مذهبه ورتبه كما رتبه ثم قال : وأعلم أنه سيبقى بعد كتابى أشياء لم تقع لى ، ولا وقفت عليها ، لأن كلام العرب لا ينحصر ، ولقد صدق رحمه الله ، فإن الذى فاته من غريب الحديث كثير »[3] .

---

(١) انظر : مقدمة تحقيق النهاية : ص ٨ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث : ١ / ٨ .

(٣) المرجع السابق : ص ٩ .

وابن الاثير لم يتأثر بمنهجيهما فقط ، بل إنه استقى معظم مادة كتابه من كتابيهما بعد تجريدهما من غريب القرآن[1] .

منهج ابن الأثير :

نهج ابن الأثير - فى كتابه - مسلك الكتابين السابقى الذكر (للهروى والأصفهانى) حيث قال فى مقدمة كتابه[2] :

سلكت طريق الكتابين فى الترتيب الذى اشتملا عليه والوضع الذى حوياه من :

١ - التقفية على حروف المعجم ، بالتزام الحرف الأول والثانى من كل كلمة ، واتباعهما بالحرف الثالث منها على سياق الحروف .

إلا أنى وجدت فى الحديث كلمات كثيرة فى أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها ، وكان يلتبس موضعها الأصلى على طالبها ، لا سيما وأكثر طَلَبَةِ غريب الحديث لا يكادون يفرقون بين الأصلى والزائد ، فرأيت أن أثبتها فى باب الحرف الذى هو فى أولها وإن لم يكن أصليا ونبهت عند ذكره على زيادته لئلا يراها أحد فى غير بابها فيظن أنى وضعتها فيه للجهل بها ، فلا أُنسَبُ إلى ذلك ، ولا أكون قد عرضت الواقف عليها للغِيبَةِ وسوء الظن . . . .

٢ - وجعلت على ما فيه[3] من كتاب الهروى (هاء) . . . . وعلى ما فيه من كتاب أبى موسى[4]

---

(١) انظر : النهاية : ١/١٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ١١ ، ١٢ .

(٣) أى ما فى كتابه : (النهاية) .

(٤) هو : أبو موسى الاصفهانى .

(سينا) ، وما أضفته من غيرهما : مهملا بغير علامة ليتميز ما فيهما عما ليس فيهما .

٣ - وجميع ما فى هذا الكتاب من غريب الحديث والآثار ينقسم إلى قسمين : أحدهما : مضاف إلى مسمى ، والآخر غير مضاف ، فما كان غير مضاف فإن أكثره والغالب عليه أنه من أحاديث رسول الله ﷺ ، إلا الشيء القليل الذى لا تُعرف حقيقته ، هل هو من حديثه أو حديث غيره ، وقد نبهنا عليه فى مواضعه .

وأما ما كان مضافا إلى مسمى : فلا يخلو : إما أن يكون ذلك المسمى هو صاحب الحديث واللفظ له ، وإما أن يكون راويا للحديث عن رسول الله ﷺ أو غيره ، وإما ان يكون سببا فى ذكر ذلك الحديث أضيف إليه ، وإما أن يكون له فيه ذكر عرف الحديث به واشتهر بالنسبة إليه .

وإليك نموذجا من هذا الكتاب ، يتضح فيه منهج ابن الأثير ، الذى ذكره فى مقدمة كتابه :

من حرف الهمزة :

باب الهمزة مع الباء[1]

(أبرد) (س) فيه : « إنَّ البَطِّيخَ يَقْلَعُ الإ بْرِدَةَ » .

الإبْرِدَة - بكسر الهمزة والراء - علة معروفة من غَلَبَةِ البرد والرطوبة تُفَتِّرُ عن الجماع ، وهمزتها زائدة وإنما أوردناها هاهنا حملا على ظاهر لفظها .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث .

تعليق :

١ – ذَكَر هنا حرف (س) إشارة إلى أنه أخذ هذا عن كتاب أبى موسى الأصفهانى .

٢ – لم يضف هذا الحديث إلى مُسمي ، وهذا دليل على أنه من أحاديث رسول الله ﷺ ، ولو شك فيه هل هو من حديثه أو حديث غيره : لَنَبَّه على ذلك .

٣ – أن الكلمة الغريبة هنا (الإِبرِدَة) من مادة (بَرَدَ) وكان حقها أن يأتى بها فى باب (الباء مع الراء والدال) ، ولكنه أتى بها هنا حملا على ظاهر لفظها ، ونبه إلى أن همزتها زائدة حتى لا يظن أحد أن ابن الأثير يجهل هذه الحقيقة .

(انتهى التعليق)

(أبرز) (هـ) فيه : « وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الإِبْرِيزِ » أى : الخالص ، وهو الإبريزى أيضا ، والهمزة والياء زائدتان .

تعليق :

١ – ذكر هنا حرف (هـ) إشارة إلى أخذه عن كتاب : الهروى .

٢ – لم يُضف هذا الحديث إلى مسمى أيضا ، دلالة على أنه من أحاديث الرسول ﷺ .

٣ – نبه – أيضا – إلى أن هذه الكلمة من مادة (برز) وأن الهمزة والياء فيها زائدتان .

(انتهى التعليق)

(أبس) فى حديث جُبَيْر بن مُطْعِم قال : « جاء رجل إلى قريش من فتح خيبر ، فقال : إن أهل خيبر أَسَرُوا

رسول الله ﷺ ، ويريدون أن يرسلوا إلى قومه ليقتلوه ، فجعل المشركون يُؤَبِّسُون به العَبَّاس » .

أى : يعيِّرونه ، وقيل : يخوِّفونه ، وقيل يرغمونه ، وقيل : يغضبونه ويحملونه على إغلاظ القول له . يقال : أَبَسْتُه أَبْسًا ، وأَبَّسْتُه تأْبِيسًا .

تعليق :

١ – لم يذكر هنا حرفى (س أو هـ) إشارة إلى أنه أخذ هذا عن غير كتابيهما .

٢ – أضاف هذا الحديث إلى مسمى ؛ هو صاحب الحديث وهو : جبير بن مطعم .

ملحوظات عامة على الكتاب :

أولا : نلحظ من كل ما سبق : أنه رتب الألفاظ ترتيب معجميا ، على حسب ترتيب مدرسة المعجمات الألفبائيه ، مما يسهِّل الأمر على من يرتاد هذا الكتاب ، بحيث يصل إلى مبتغاه – فيه – بسهولة ويسر .

ثانيا : كما أنه اعتنى بشرح الألفاظ شرحا لغويا سهـلا ، وإن كان خاليا من الشواهد الشعرية أو غيرها .

ثالثا : أنه لم يقتصر على ذلك الشرح ، وإنما تعداه إلى مناقشة المسائل الفقهية وإثارة القضايا الصرفية ، ومحاولته التوفيق بين الأحاديث المتعارضة فى الظاهر ، وذلك فى إيجاز واف بليغ[1] .

– فمثال مناقشته للمسائل الفقهية ما ورد فى : حرف السين ، باب السين مع الباء[2] :

---

(١) انظر : مقدمة المحققين : ص ٧ ، ٨ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث : ٢ / ٣٣٧ .

وفيه « نهى عن جلود السِّباع » : السِّباع تقع على الأَسَد والذئاب والنمور وغيرها .

وكان مَالِكٌ يكره الصلاة فى جلود السباع وان دُبِغَتْ ويمنع من بيعها .

واحتج بالحديث جماعة ، وقالوا : إنّ الدباغ لا يؤثر فيما لا يؤكل لحمه .

وذهب جماعة : إلى أن النهى تناولها قبل الدباغ ، فأما إذا دبغت فقد طهرت .

وأما مذهب الشافعى : فإن الدِّبَاغ يطهر جلود الحيَوان المأكول وغير المأكول ، إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما ، والدباغ يطهر كل جلد ميتة غيرهما .

وفى الشعور والأوبار خلاف : هل تطهر بالدباغ أم لا .

وقيل إنما نهى عن جلود السباع مطلقا ، وعن جلد النمر خاصا ، وردّ فيه أحاديثَ ، لأنه من شعار أهل السَّرِف والخُيَلَاء .

- وأما مثال إثارته للقضايا الصرفية : فانظر مادة : رمم[1] حيث إنها قضية طويلة ، لا يسعها المقام هنا .

- وأما مثال محاولته التوفيق بين الأحاديث المتعارضة فى الظاهر ، فقوله فى مادة (رق)[2] : (حرف الراء - باب الراء مع القاف) .

فيه « مَا كُنَّا نَأْبِنُهُ[3] بِرُقْيَةٍ » قد تكرر ذكر الرُّقْية والرُّقَى والرَّقْى والاسْتِرْقاء فى الحديث .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث : ٢ / ٢٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٣) أى : نعيبه ومعنى الحديث : ما كنا نعلم أنه يرق فنعيبه بذلك - المرجع السابق : ١ / ١٧ .

والرُّقْيةُ : العوذة التى يُرقى بها صاحب الآفة ، كالحُمَّى والصَّرع وغير ذلك من الآفات .

وقد جاء فى بعض الأحاديث جوازها ، وفى بعضها النهى عنها : (س) فمن الجواز قوله « استَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ » أى : اطلبوا لها من يَرْقيها .

(س) ومن النهى قوله : « لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُون » .

والأحاديث فى القسمين كثيرة ، ووجه الجمع بينهما :

أن الرُّقَى يُكره منها ما كان بغير اللسان العربى وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه فى كتبه المنزلة / وأن يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها ، وإياها أراد بقوله : « مَا تَوَكَّلَ مَن استَرْقَى » / ولا يكره منها ما كان فى خلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن ، وأسماء الله تعالى ، والرق المروية ، ولذلك قال للذى رَقَى بالقرآن وأخذ عليه أجرا : « من أخذ بِرُقْيَةِ باطل فقد أخذت بِرُقْيَةِ حق » .

....

وأما الحديث الآخر فى صفة أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب : « هُمُ الَّذينَ لا يَسْتَرْقُون ولا يكْتَوُون وعلى رَبهم يتوكلون » .

فهذا من صفة الأولياء المُعْرِضين عن أسباب الدنيا ، الذين لا يلتفتون إلى شىء من علاقتهـا ، وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم ، فأما العوام فمرخص لهم فى التداوى والمعالجات ، ومن صبر على البلاء ، وانتظر الفرج من الله بالدعاء : كان من جملة الخواص والأولياء ومن لم

يصبر رُخّص لـه بالرقية والعلاج والدواء .

ألا ترى أن الصِّدِّيق[1] لما تصدّق بجميع ماله لم ينكر عليه[2] ، علما منه بيقينه وصبره ، ولما أتاه الرجل[3] بمثل بيضة الحمام من الذهب وقال : لا أملك غيره ، ضربه به بحيث لو أصابه عقره ، وقال فيه ما قال؟!

انتهى

***

(١) هو أبو بكر رضى الله عنه أول الخلفاء الراشدين .

(٢) أى : لم ينكر رسول الله ﷺ على أبى بكر تصدقه بجميع ماله .

(٣) أى : رجل آخر غير أبى بكر رضى الله عنه .

الفصل الثالث

معاجم الموضوعات العربية القديمة

البداية .. والنهاية

معاجم الموضوعات : هى التى كان يكتبها جُمَّاع اللغة وعلماؤها ، وذلك لتحقيق الأغراض التالية :

١ - حفظ اللغة فى بطون الكتب ؛ خوفا عليها من الضياع ، خاصة بعد أن اختلط العرب بالعجم ، وبدأت العربية تفقد كثيرا من ألفاظها واستعمالاتها .

٢ - الاستعانة بهذه الألفاظ العربية الصميمة على تفسير كتاب الله ، وحديث رسول الله ﷺ .

٣ - تزويد علماء النحو بمدد كاف ، لتقعيد قواعد النحو العربى ، خوفا من سريان اللحن فى الألسنة ، وتيسيرا لتعلمها من غير العرب .

مراحلها :

وقد مرت هذه المعاجم الموضوعية بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : الرسائل اللغوية :

وهى التى كانت تجمع فيها الكلمات حيثما اتفق « فالعالِمُ يرحل إلى البادية يسمع كلمة فى المطر ، ويسمع كلمة فى اسم السيف وأخرى فى الزرع والنبات ، وغيرهما فى وصف الفتى أو الشيخ ، إلى غير ذلك فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع »[1] .

---

(١) أحمد أمين - ضحى الإسلام : ٢ / ٢٦٣ .

وقد يرحل البدوى إلى الحضر ليسمع منه العلماء ويدونوا ما سمعوه منه .

ويمثل تلك المرحلة : كتب النوادر ، التى بدأ التأليف فيها « فى القرن الثانى من الهجرة ، أى فى الوقت نفسه الذى نهض فيه رواة اللغة وعلماؤها لتدوين اللغة العربية ، ونشطوا لجمعها فى الكتب »[1] .

وأول من بدأ التأليف فى هذا النوع من كتب اللغة : أبو عمرو بن العلاء التيمى ، البصرى (ت ١٥٤هـ) .

ثم كثر التأليف فى النوادر على مر الأيام ، واستمر فى زيادة مطردة طوال قرن من الزمان ، أى إلى أواسط القرن الثالث الهجرى ، ثم بدأ يخبو – بعد ذلك – رويدا رويدا إلى أن جاء القرن الرابع الهجرى ، فإذا بالتأليف فيها يضعف جدا ، حتى إنه لا يكاد يوجد إلا القليل من علماء هذا القرن الذين ألَّفوا فيه .

وكان ختامهم هو : صاعد بن الحسن الأندلسى (ت ٤١٠هـ) .

وبين أبى العلاء وصَاعِدٍ – هذا – : ما يربو على ثلاثة وأربعين عَالِمًا أَلَّفوا فى النوادر[2] .

مثال للعلماء الذين ذهبوا إلى البادية :

وخير مثال يمكن أن يساق فى هذا المجال هو عالم العربية : أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، الذى توفى بالبصرة سنة ٢١٥هـ ، (على أحد الأقوال) بعد أن عاش عمرا طويلا قارب المائة[3] . « وكان أنحى من أبى عبيدة

---

(١) د . عزه حسن – مقدمة كتاب النوادر لأبى مسحل الأعرابى : ص ٢٤ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦١م .

(٢) انظر : مقدمة كتاب النوادر لأبى مسحل : ص ٢٤ – ٣٠ .

(٣) وفيات الأعيان – لابن خلكان – بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد : ٢ / ١٢٢ نشر النهضة المصرية .

والأصمعى وأغزر فى اللغات منهما ، وله كتب كثيرة[1] ونوادر فى اللغة مشهورة »[2] .

ومن أشهر كتبه : كتاب النوادر فى اللغة الذى اشتمل على خمسة عشر بابا :

ثلاثة منها خاصة بالشعر وكان يفتتحها قائلا : باب شعر .

وسبعة خاصة بالرجز ، ويفتتحها قائلا : باب رجز .

والخمسة الباقية خاصة بالنوادر - ويفتتحها قائلا : باب نوادر .

كما أن الابواب التى سمعها من العرب كان ينوه عنها قائلا : (سماع أبى زيد من العرب) .

وأما التى سمعها من الرُّواة : فإنه كان ينسبها إلى أصحابها فى بداية الباب .

ويبدو أن هذا الكتاب لم يكتبه أبو زيد بنفسه ، وإنما رواه عنه الرواة ، ومصداق ذلك ما نجده فى بداية كتابه[3] : « أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن محمد ابن أحمد بن بسام . قال : أخبرنا أبو الحسن على بن سليمان الأُخفش ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى قال : أخبرنى التَّوَّزِي وأبو حاتم السجستانى عن أبى زيد قال - [أى أبو زيد] - :

وأخبرنى أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى ، المعروف بالسكرى ، عن الرياشى وأبى حاتم عن أبى زيد قال أبو سعيد :

هذا كتاب أبى زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعه من المُفَضَّل بن محمد الضبى ، ومن العرب .

---

(١) انظر : هذه الكتب - التى بلغت ١٩ كتابا - وأسماءها فى : المرجع السابق : ص ١٢١ .

(٢) طبقات اللغويين والنحويين للزبيدى - بتحقيق : محمد أبو الفضل ص ١٦٥ ط ٢ نشر دار المعارف بمصر .

(٣) كتاب النوادر فى اللغة لأبى زيد - بتصحيح : سعيد الخورى الشرتونى : ص ٢ - طبع المطبعة الكاثوليكية - بيروت سنة ١٨٩٤هـ .

ونلحظ هنا : أن الكتاب روى من طريقين : طريق التَّوَّزى (عبد الله بن محمد القرشى – ت ٢٣٣هـ) وأبى حاتم السجستانى (سهل بن محمد بن عثمان – ت ٢٥٥هـ)[١] .

وطريق أبى حاتم والرياشى (أبو الفضل : العباس بن الفرج – ت ٢٥٧هـ)[٢] .

وهذا يزيده توثيقا ، ويرفع من مكانته .

نموذج من كتاب نوادر أبى زيد :

١ – باب شعر

قال أبو زيد : أنشدنى المفضل[٣] لضمرة بن ضمرة النهشلى وهو جاهلى :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بعد وَهْنٍ فى النَّدى ... بَسْلٌ عليك مَلَامَتِى وَعِتَابِى[٤]

أَأَصُرُّهَا وَبُنَىُّ عَمِّى ساغب ... فكفاك من إِبَةٍ عَلَىَّ وَعَابِ[٥]

قال أبو الحسن[٦] :

أرأيتِ إن صرخت بليلٍ هَامتِى ... وخرجْت منها عاريا أثوابى

---

(١) طبقات النحويين واللغويين – ص ٩٤ – ٩٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٩٧ – ٩٩ .

(٣) هو : المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم بن أبى سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة الضبى – ت ١٦٨هـ – المرجع السابق ص ١٩٣ .

(٤) بكرت تلومك : عجلت تلومك – بعد وهن : بعد نومة – فى الندى : فى الكرم – بسل عليك : حرام عليك .

(٥) أأصرها : أأمنعها وأحبسها أى ناقتى – ساغب : جائع – الإِبَةُ الخزى والحياء – العَابُ : العيب .

(٦) يبدو أنه : أبو الحسن على بن سليمان الأخفش ، أحد أفراد سلسلة الرواية عن أبى حاتم عن أبى زيد كما ذكرت سابقا .

رجعت الرواية إلى أبى زيد :

هل تَخمِشَن إبِلِى علىَّ وُجُوهَهَا أم تَعْصِبَنَّ رُؤُسَهَا بِسَلَابِ[1]

ثم نرى بعد ذلك شرحا مطولا لهذه الأبيات من أبى حاتم السجستانى ، وبعد الانتهاء من الشرح يعود الراوى إلى ما روى عن أبى زيد فيقول[2] : رجعت الرواية إلى أبى زيد » ثم يروى أبياتا أخرى من إملاء أبى زيد يعقبها الراوى بالشرح اللغوى . . وهكذا .

والملاحظ فى هذا النموذج : أن أبا زيد صرح باسم الشاعر ، ونسبه إلى قبيلته ، وذكر عصره الذى استظل بظله حيث قال : (وهو جاهلى) .

٢ – باب رجز[3]

سماع أبى زيد من العرب .

قال الراجز :

لقد رأيت عجبا مذ أمسا عَجَائِزًا مثل الأفاعى خمسا

يأكلن ما فى رحلهن همسا لا ترك الله لهن ضرسا

وبعد شرح هذه الأبيات – من الراوى على ما أعتقد ، حيث لم يُذكر الشارح هنا صراحة – يعود الراوى إلى أبى زيد مرة أخرى ، فى نادرة من نوادره الرجزية ، حيث يقول[4] : « أبو زيد ، وقال آخر » .

وهذا ما جعلنى أرجح أن الشرح ليس من أبى زيد ، فلو كان منه لما احتاج الراوى إلى أن يذكر أبا زيد مرة أخرى بعد الانتهاء من الشرح .

***

---

(١) الخمش : الخدش فى الوجه – السِّلاب : الثياب السود التى تلبسها النساء فى المآتم .

(٢) انظر : كتاب النوادر فى اللغة : ص ٦ .

(٣) انظر المرجع السابق – نفسه .

(٤) المرجع السابق ص ٥٧ .

٣ – باب نوادر[1]

أبو زيد : قال الكلابيون[2] المهروس والمجشوش واحد وهى هريسة وجشيشة . وقال أبو المضاء الكلابى : الهريس والجشيش : الحَبُّ حين يُدق بالمهراس قبل أن يطبخ ، فإذا طبخ فهو هريسة وجشيشة إذا جشوه .

وقال : استقبلت الماشية الوادى فأنا أستقبلها إياه . وأقبلتها الوادى إقبالا ، إذا أقبلت بها نحوه ، وقبلت الماشية الوادى تقْبَله قُبولا إذا استقبلته هى ، قال الراجز :

إذا سمعن زأره تعديدا في زفرة يُقْبِلُها الكَؤُودا

رفعن أمثال الخوافى سودا

أبو حاتم : إذا سمعن زأرةً . والكؤود : العقبة الشاقة .

فأنت ترى هنا أن أبا زيد أتى بنوادر لغوية عن العرب ، ونسبها إلى أصحابها ، واستشهد عليها برجز لم يذكر اسم صاحبه .

وقد سبق رأى أبى حاتم فى تصحيح كلمة (زأره) ، والذى يذهب إلى أنها : (زأرة) بالتاء المربوطة ، بدلا من (زأره) بالهاء المربوطة ، ثم فسر الكلمة التى تحتاج إلى تفسير فى البيت وهى كلمة الكؤود .

وبعد ذلك التعليق والشرح ، يعود الراوى إلى النوادر مرة أخرى ، فيقول :

ويقال : تاقت نفسى إلى ذلك تَوْقًا وَتَوَقَانا وتُؤُوقا .

ويقال : أَبَثَّ فلانٌ فُلانا شُقُوره وفُقُوره ، إذا شكا إليه الحاجة .

---

(١) كتاب النوادر فى اللغة : ص ٨١ .

(٢) هم : بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . . كانت ديارهم حِمىَ ضرية وغيرها – انظر : معجم قبائل العرب – عمر رضا كحالة : ٣ / ٩٨٩ .

والملاحظ على هذه النوادر : أنها تذكر عدة أوجه لغوية وصرفية للكلمة ، ولا يمكن طبعا أن تكون هذه الأوجه كلها لقبيلة واحدة ، وإنما كل وجه لقبيلة ، وقد جمع أبو زيد بينها ، ولذلك لم ينسبها إلى قائليها .

أما البدو الذين رحلوا إلى الحضر ؛

ليسمع العلماء منهم ؛ ويجلسوا إليهم : فخير مثال لهم : أبو مِسْحَل الأعرابى (عبد الوهاب بن حريش) « من بنى ربيعة بن عبد الله بن أبى بكر ، وهم من أحياء بنى عامر بن صعصعة ، ومنازلهم فى نجد . . . . وهو من الأعراب الفصحاء ، الذين وردوا الأمصار من البادية ، وشاركوا فى الحركة الخصبة التى نشطت فى هذا الدور لجمع اللغة وتدوينها فى أمصار العراق »[1] .

وقد كان أبو مسحل على ظهر الحياة فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث من الهجرة[2] .

وقد أخذ عنه كثير من العلماء المشاهير فى عصره ، ومنهم أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) وأبو العباس إسحق بن زياد الأعرابى[3] ، وأبو عبد الرحمن أحمد بن سهل[3] ، صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .

وقد روى هؤلاء الثلاثة كتاب النوادر عن أبى مسحل .

كما أنه التقى بالأصمعى ودارت بينهما مساجلات لغوية[4] .

وكتاب النوادر[5] هذا كتاب فى اللغة ، والمادة اللغوية فيه : تمثل لغة البادية فى الجاهلية وصدر الإسلام فى ألفاظها

---

(١) كتاب النوادر – بتحقيق د . عزه حسن – مقدمة التحقيق : ص ٥ ، ٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٦ .

(٣) لم أعثر لهما على ترجمة .

(٤) مقدمة كتاب النوادر : ص ٨ ، ٩ .

(٥) المرجع السابق : ص١٢ .

وعباراتها ، وأمثالها وأساليبها تمثيلا جيدا .

والكتاب – بمجموعه – أثبت وأوسع نص لغوى وصل إلينا عن المرحلة الأولى لجمع اللغة وتدوينها ، فى بدء ازدهار الحضارة العربية ، فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث من الهجرة .

وهو يعد بذلك مثالا جيدا للخطة البدائية التى اتبعها الرواة والعلماء – فى بادىء الأمر – لجمع اللغة وتدوينها .

وهو صنو « كتاب النوادر » لأبى زيد الانصارى فى هذه الأمور جميعا ، إلا أنه أوسع منه حجما ، وأغنى مادة .

وهو بعدُ : مروى عن مؤلفه الأعرابى الصميم مباشرة ، بطريق علماء أفذاذ كبار أمثال : أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩٠هـ) .

وقد تداوله علماء أيضا ، أمثال أبى عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ) غلام ثعلب ، وأبى عبد الله بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) وقرؤوه وصححوه[١] .

نماذج من كتاب النوادر عن أبى مسحل :

١ – من رواية ثعلب

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، قال أبو محمد عبد الوهاب بن حريش المعروف بأبى مسحل وهو لقب له[٢] .

---

(١) مقدمة كتاب النوادر : ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق : ١ / ١ – ٣ .

يقال : شطُّ النهر ، وشاطِئه ، وعبرُه ، وبِيئُهُ وجِيزُه ، وجِيزَتُه ، وضَفُّه ، وضَفَّتُه ، وضِيفُه ، وحافَّته وُجُلْدته ، وجُدُّه ، وجِدُّه . وذلك فى معنى : ناحيته .

ويقال : فلان كفيلي ، وصبيرى وجَرِيِّى وزعيمى وحَمِيلي ، وقَبِيلى ، وأذِينى . كل هذا بمعنى واحد .

ويقال : خذ هذا عند أول صَوْك ، وبَوْك وعَوْك وصائك ، وبائك ، وواهلة ، ووهله . ومعناه : خذه قبل كل شيء .

ويقال للعظيم البطن : رجل عِفْضَاج ، ومِفْضاج وفضيج ، ودِخْدَاح وجنبخ ، وحبنْطاً ، وقِبَنْجر .

ويقال : حاييت الصَّيد ، وساورقته وشاجرته وذلك إذا سرت معه مجانبا تختِلُه . ويقال : بعير مِسْوَق أى يساوق الصيد .

ويقال : بارت السوق والبيع ، وغُفِرت وانحمقت وحُمقَت وحمُقَت البيع ، وبيع أحمق ، وذلك إذا كسد ، ويقال : نام البيع ، كذلك .

٢ – من رواية أبى العباس بن الأعرابى

قال أبو العباس بن الأعرابى[١] أخو أبى عبد الله بن الأعرابى[٢] ، أملَّ علينا أبو مسحل قال[٣] :

سمعت الكسائى يقول فى الماشية إذا كثرت : قد أوشت

---

(١) هو ابو العباس إسحق بن زياد .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن زياد ، يعرف بابن الأعرابى ، من علماء الكوفة المشهورين .

(٣) كتاب النوادر لأبى مسحل : ١ / ١٧٧ ، ١٨٨ .

ماشية فلان ووشت ، وأتت ، وأمشت ، ومشت وضنأت ، وضَنت تضنى لغة ، إذا كثرت . كل ذلك قال .

ويقال : قد قلُص الظِّل وأنى ، وعقل واسْمَأَلّ وأكْرى ، وذلك إذا قام واعتدل .

٣ – من رواية أبي عبد الرحمن أحمد بن سهل[١] صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام[٢]

وهذا من كتاب أبي عبد الرحمن صاحب أبي عبيد بخطه[٣] :

قال أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش ، وكنيته أبو محمد ، وأبو مسحل لقب .

يقال : أتتني جنادع فلان وقناذعه وعقاربه ، وزنابره ، ومعناه : قوارصهُ . والواحد قُنْذُعٌ ، وجُنْدُعٌ ، وفي القناذع قُنذَعة ، وقُندعة .

وجنادع الضَّبِّ : دواب تخرج قبله .

ويقال : وَلِع فلان في الكذب ، وَوَلَق ، وبرك وابترك فيه . وذلك إذا جرى فيه وأولع به . وروى عن عائشة : ﴿ إذ تَلِقونه بِألْسِنَتِكُم ﴾[٤] .

ويلاحظ : أن نوادر أبي مسحل الأعرابي ، مليئة بالمترادفات التي تدل على

---

(١) لم يذكر شيء عن حياته أو وفاته – انظر تاريخ بغداد ٤ / ١٨٤ .

(٢) توفى سنة ٢٢٤هـ – طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٠٠ .

(٣) كتاب النوادر لأبي مسحل : ١ / ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٤) سورة النور / ١٥ ، والآية : ﴿ إذ تلقَّونهُ بِألْسِنَتِكُمْ وَتقولُونَ بِأفْواهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكَم بِهِ عِلْمٌ وَتَحسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

معنى واحد ، وهذا لا يدل على لغة قبيلته وحدها ، وإلا كانت القبيلة تستخدم أكثر من لفظ فى معنى واحد ، وليست فى حاجة إلى ذلك ، وإنما المتحقق أن تلك ألفاظ تخص قبائل مختلفة ، حيث أطلقت كل قبيلة لفظا معينا ؛ على الشىء المشترك الذى تراه العرب أو تحسه جميعها ، ولكن ما تلك القبائل ؟ وما ألفاظها ؟ لا يكاد أحد من الباحثين فى هذا المجال يصل إلى لب الحقيقة فى هذا الأمر .

ولذلك يؤخذ على أبى مسحل وأبى زيد وأضرابها ، أولئك الذين :

دونوا اللغة ، أنهم اعتبروا العربية وَحْدة واحدة ، مع اختلاف القبائل ألفاظا وتراكيب ولهجة فلم يرسم لنا الراحل من العلماء خطة سيره وأى القبائل نزل بينها ، وما هى الألفاظ واللهجات التى أخذها عنها ؟ وما الألفاظ واللهجات التى أخذها عن القبيلة الأخرى ؟

ولما رحل البدوى إلى المصر (لم يقل أحد لنا) ماذا أخذ عنه من الألفاظ واللهجات ؟ ومن أى قبيلة كان ؟ نعم وردت شذرات من هذا القبيل ولكنها قليلة جدا لا تكفينا لتفريق اللغة على القبائل .

لو فعلوا ذلك : لاستفدنا فوائد كثيرة فعرفنا كل ما يختص بالقبيلة من ألفاظها ولهجاتها ، وعرفنا المترادفات ومنشأها ، وعرفنا الألفاظ التى امتازت بها كل قبيلة وعرفنا سببها الخ ، ولاستنتج الباحث من ذلك كله أشياء قيمة جدا ، ولكنهم لم يفعلوا ، وساروا فى جمعهم على نظرية وحدة اللغة ، بقطع النظر عن اختلاف القبائل[1] .

---

(١) أحمد أمين – ضحى الاسلام : ٢ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

المرحلة الثانية من مراحل معاجم الموضوعات
الرسائل ذات الموضوع الواحد

فى هذه المرحلة كانت تجمع « الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد . . . والذى دعا إلى هذا فى اللغة – على ما يظهر – أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى ، فأرادوا تحديد معانيها ، فدعاهم ذلك إلى جمعها فى موضع واخد »[1] .

وقد ألفت فى هذا رسائل كثيرة وغفيره ، منها :

١ – كتاب الدارات للأصمعى .
٢ – كتاب النبات والشجر للأصمعى .
٣ – كتاب النخل للأصمعى .
٤ – كتاب الكرم للأصمعى .
٥ – كتاب المطر لأبى زيد الأنصارى .
٦ – كتاب اللبأ واللبن لأبى زيد الأنصارى .
٧ – كتاب الرحل والمنزل لأبى عبيد القاسم بن سلام .

فكتاب الدارات : عبارة عن ثلاث صفحات جمع فيها الأصمعى دارات العرب المعروفة ، والتى ورد ذكرها فى أشعارهم .

وهذه الدارات لم يذكرها أصحاب معاجم البلدان كياقوت الحموى والبكرى وغيرهما .

ولذلك فإن هذه الصفحات – على قلتها – مفيدة فى معرفة بعض الأماكن العربية القديمة التى عفى عليها الزمن[2] .

---

(١) أحمد أمين – ضحى الإسلام : ٢٦٤/٢ .

(٢) انظر : مقدمة : البلغة فى شذرات اللغة – نشر : أوجست هفنر ولويس شيخو – ط ٢ – مط الكاثوليكية – بيروت سنة ١٩١٤م .

هذا فضلا عن أن قدم هذا الكتاب الصغير ، وشهرة مؤلفه ، تضعه فى مكانة مرموقة بالمكتبة اللغوية .

نموذج منه :

قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى[1] حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن قريب (الأصمعى) قال[2] :

دارت العرب المعروفة فى بلدانهم وأشعارهم ست عشرة دارة[3] .

والدارة : ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال ، يقال : دار ، ودارة ، وأَدْوُر ودارات

فمن ذلك : دارةُ وَشْجَى ، وأنشد :

ولست بناسٍ موقفا إن وقفته بِدارَة وَشْجَى ما عَمِرْت سليما

ودارة : جُلْجُل ، قال امرؤ القيس :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يومٍ بدارة جُلْجُل

ودارة : رَفْرف ، وأنشد :

فقلت عِدِى ، قالت : إذا الليل جَنَّا فموعدنا أَقْوازُ دارة رَفْـرَف[4]

وتلحظ معى أن كتاب الأصمعى هذا : احتوى على ست عشرة دارة ، وقد بدأه بتعريف الدارة ، ثم ذكر جموعها ، ثم عرض لنا الدارات التى وردت فى أشعار العرب ، دون أن يرتبها أى ترتيب كان .

---

(١) هو : راوى كتاب نوادر أبى زيد أيضا .

(٢) من كتاب : البلغة فى شذرات اللغة .

(٣) هذا طبعا غير ما ذكره أصحاب معاجم البلدان كياقوت والبكرى وغيرهما .

(٤) أقواز جمع قوز وهو : المستدير من الرمل والكثيب المشرف – القاموس المحيط : ق.و.ز .

وكان فى حديثه عن هذه الدارات - كما وضح فيما سقته - يذكر الدارة ثم يثنى بالبيت الشعرى الذى ذُكرت فيه ، مع نسب هذا البيت لقائله فى بعض الأحيان ، وإغفال هذا النسب فى أحيان اخرى .

كما أنه لم يكلف نفسه مشقة تحديد موقع الدارة[1] .

وعلى هذه الطريقة من الجمع والاستقصاء سارت الرسائل ذات الموضوع الواحد ، فقد جمع أبو زيد الأنصارى مثلا : فى (كتاب المطر) « كل ما ورد فى كتب اللغة عن المطر وما يلحق به من الأنواء والغيوم وما شاكلها والرعد والبرق »[2] .

وإليك نموذجا من هذا الكتاب :

قال أبو زيد الأنصارى[3] :

أولُ أسماء المطر : القِطْقِط ، وهو أصغر المطر .

والرَّذاذ : فوق القِطقِط ، يقال : قَطْقَطت السماء فهى مقطقِطة ، وأرذَّت فهى مُرِذَّة إرْذَاذًا .

ومنه : الطَّشُّ : فوق القِطقِط والرذاذ ، يقال : طَشَّت السماء تطِش طشا .

ومنه البَغْشُ : وهو فوق الطَّشِ ، يقال : بغَشَت تبْغَش .

والغَبْيَةُ فوق البغْشَةِ وكذلك الحَلْبَة والشجذة إلخ . . .

وعلى هذا المنهاج سار أبو عُبيد القاسم بن سلَّام (ت ٢٢٤هـ) فى كتابه : الرَّحْل والمنزل :

---

(١) تكفل بهذا التحديد ناشرا كتاب البلغة فى شذرات اللغة - انظر الكتاب .

(٢) لويس شيخو - البلغة فى شذور اللغة : ص ٩٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٠١ ، ١٠٢ .

فقد جمع فيه معظم المفردات التى يستعملها العرب فى أسفارهم ومنازلهم بذلك وضُح لنا كثير من عاداتهم وأمورهم المنزلية .

إليك نموذجا منه :

باب الرحل وآلاته والأوانى فى السفر والحضر والدور والبيوت والأخبية والأبنية[1] :

أما حاجات السفر : فإذا كان فى رَحْل الإنسان مُحِلَّاتٌ نزل حيث شاء منفردا عن الناس ، وهى : القِرْبَة ، والفأس ، والقدَّاحة ، والدَّلْو ، والشَّفْرة والقِدر ، تُحلّه حيث شاء ، وإلا فلا بُدَّله من الناس .

ولكل واحدة من هذه نعوت وأسماء . . إلخ .

ثم عرفنا بالأبنِيةِ فقال[2] :

من الأبنية : الخِبَاء ، وهو من وَبَرٍ أو صوف ، ولا يكون من شَعْر[3] .

والبُرجُد : كِساء ضخم فيه خطوط يصلح للخباء وغيره .

والسبيج : مِسْحٌ مخطط يكون فى البيت يُستر به ويُفْترش .

والإراض : بِسَاطٌ ضخم من وبر أو صوف . . إلخ

---

(١) البلغة فى شذور اللغة : ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق – ص ١٢٥ .

(٣) فى المعجم الوسيط (خبأ) : الخباء : بيت من وبر أو شعر أو صوف ، يكون على عمودين أو ثلاثة .

المرحلة الثالثة من مراحل معاجم الموضوعات
الكتب ذات الموضوعات المتعددة

وذلك لأنها جَمعت الموضوعات السابقة الذكر وغيرها تحت أجنحتها .

وقد سُميت هذه الكتب - أيضا - كُتب الصِّفَات ، لأنها تجمع الصفات المتفرقة مثل : صفة الخيل وصفة الإبل وصفة المطر وغيرها فى كتاب واحد .

كما سميت أيضا : كتب الغريب المصنَّف لأنها جَعلت الغريب أصنافا كل صنف يُعْنى بموضوع واحد ، ثم جمعت هذه الأصناف كلها فى كتاب واحد .

وغنى عن الذكر : أن هذه الكتب سُبقت بكتب المرحلة الثانية وهى الرسائل الصغيرة التى أُفرد كل منها لموضوع واحد .

ومن أوائل من ألفوا فى هذا المجال :

١ - أبو عمرو الشيبانى (إسحق بن مرار - ت ٢٠٦هـ) فقد كان له كتاب : (غريب المصنف) الذى رواه عنه ولده : عمرو بن أبى عمرو ، ولذلك نسب إليه[1] .

٢ - أبو عبيد القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد (توفى بمكة سنة ٢٢٤هـ) ، الذى ألف كتابه : (الغريب المصنف) مشتملا على ألف باب ، تحتوى على مائة ألف حرف [كلمة] ، وبه من شواهد الشعر : ألف ومائتا بيت . وكان أبو عبيد يحب كتابه هذا بل ويفضله على عشرة آلاف دينار ، على الرغم من أنه كان رقيق الحال .

***

---

(١) انظر : الفهرست للنديم : ص ٧٤ ، ٧٥ .

نقد الكتاب :

ولقد قيل له : يقال إنك أخطأت فى مائتى حرف من المصنف فرد – فى حلم – قائلا : « فى المصنف مائة ألف حرف ، فان أُخطىء فى كل ألف حرفين فما هذا بكثير مما أُدرك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه فى هذه المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجا »[1] .

مكانته واهتمام العلماء به :

وقد روى الأزهرى فى تهذيب اللغة ما سمعه عن كتاب (الغريب المصنف) لأبى عبيد حيث قال[2] :

> **أخبرنى المنذرى عن الحسن المؤدب ، أن المسعرى أخبره أنه سمع أبا عبيد يقول : مكثت فى تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة أتلقف ما فيه من أفواه الرجال ، فإذا سمعت حرفا – عَرَفْت له موقعا فى الكتاب – : بتُّ تلك الليلة فرحا .**
>
> **قال (أى المسعرى) ثم أقبل علينا (أبو عبيد) فقال : أحدكم يستكثر أن يسمعه منى فى سبعة أشهر .**
>
> **وأخبرنى أبو بكر الإيادى عن شمرٍ أنه قال : ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبى عبيد ، واختلفت أنا إلى الإيادى فى سماعه سنتين وزيادة ، وكان سمع نسخته من شمر بن حمدويه وضبطه ضبطا حسنا وكتب عن شَمِر فيه زيادات كثيرة فى حواشى نسخته .**

---

(١) طبقات النحويين واللغويين – ص ٢٠١ ، وانظر الفهرست ص ٧٨ .

(٢) تهذيب اللغة : ١ / ٢٠ ، هذا وقد سماه الأزهرى : الغريب المؤلف .

وهذا كله يرينا مكانة هذا الكتاب (الغريب المصنف) ومدى اهتمام اللغويين به ، ومقدار ترثيقه .

وهو يعد أقدم ما وصل إلينا من الكتب ذات الموضوعات المتعددة ، وتوجد نسخة منه بمخطوطات دار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٢١ لغة ، وهى مصورة عن النسخة الأصلية الموجودة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، كما توجد نسخة أخرى بمكتبة الأسكوريال ، بأسبانيا ، ونسخة ثالثة بمكتبة مدرسة محمودية بالمدينة المنورة .

وهذه النسخ الثلاث توجد لها مصورات بمكتبة الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وقد نمى إلى علمى أن الدكتور رمضان عبد التواب قد أقدم على تحقيق هذا الكتاب الضخم ، فأرجو له التوفيق والسداد .

أبواب الغريب المصنف :

يبدأ الكتاب بباب : تسمية خلق الإنسان ونعوته .

وقد قال أبو عبيد فى مفتتح هذا الباب[1] :

قال أبو عبيد : سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول : الأنوف يقال لها : المخاطم ، واحدها مخطم . قال : والبوادر من الإنسان وغيره : اللحمة التى بين المنكب والعنق ، وأنشدنا لخراشة بن عمرو :

* وجاءت الخيلُ مُحْمَرًّا بوادِرُها *

والمَراوغ : ما بين العنق إلى الترقوة ، واحدتها مروغة .

ثم اتبع هذا : بباب نعوت دمع العين ، وغؤورها وضعفها وغير ذلك[2] :

---

(١) المخطوطة السابقة الذكر (نسخة دار الكتب المصرية) : ص ٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥ .

الأصمعى : انهجمت عينه : دمعت .

والكسائى وأبو زيد : دمعت عينه - بالفتح - لا غير .

وقالا : همت عينه تهمِى هَمْيا : مثله ، وغسَقَت تغسِق غَسَقا مثله .

أبو عمرو : ترقرقت : مثله .

الأصمعى : الهرع : الجارى ، وأبو عمرو مثله قال : وكذلك الهَموع بفتح الهاء .

ثم ثنى بباب القصار من الناس ، وباب أصوات كلام الناس وحركتهم ، وظل هكذا يذكر الأبواب التى تتصل بخلق الإنسان ونعوته حتى انتهى عند باب : الداهى من الرجال .

وأعقب ذلك بباب اللبن[1] وأبواب أخرى كثيرة فى موضوعات مختلفة ، ومنها باب الإبل[2] .

وآخر باب فى كتابه هو باب : الحفيف ، الذى قال فيه[3] :

قال الفراء : حف الطائر يحِفُّ حفيفا فى صوت طيرانه ، وحف رأس الانسان وغيره يحف حُفوفا : إذا شعث[4] ، وحفت المرأة وجهها تحفه حفا وحفافا[5] .

ونلحظ على هذا الكتاب :

١ - أنه جمع أشتاتا من الأبواب والموضوعات المختلفة .

٢ - أن صاحبه نسب ما جمعه إلى أصحابه من اللغويين الأوائل ، وجماع اللغة ،

---

(١) نسخة دار الكتب المصرية : ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٢١ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥٠٩ .

(٤) فى القاموس المحيط : حف رأسه يحف حفوفا : بعد عهده بالدهن (حف) .

(٥) أى : قشرته - انظر : المرجع السابق .

من أمثال : الأصمعى (ت ٢١٦هـ) والكسائى (ت ١٨٩هـ) . وأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ) وأبى عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وبذلك أصبح كتابه مَوثَّقا وغاصا بأسماء رواد جمع اللغة الأوائل

٣ – أن صاحبه استشهد بما تيسر له الاستشهاد به .

٤ – واهتم بإيراد الغريب من الألفاظ العربية ، مع عنايته بتوضيحها ، والتعريف بها .

٥ – وحرص على ضبط ما يلتبس ضبطه ، مثل قوله فى (الهموع) : بفتح الهاء .

٦ – أن صاحبه لم يرتب أبوابه أو ألفاظه أى ترتيب معجمى ، يسهل للقارىء الوصول إلى مبتغاه منه ، مما جعل الاستفادة منه عسيرة .

ولكن يكفى هذا الكتاب شرفا وفخرا : أنه نقل إلينا صورة دقيقة وأمينة للألفاظ والمعانى العربية القديمة ، تلك التى كان يمكن أن تضيع فى رحلة الزمان ؛ لولا حفظها فى هذا الكتاب الذى حوى فى باطنه كثيرا من الكتب .

ختام كتب الموضوعات

(المخصص لابن سِيدَه – ت ٤٥٨هـ)

وكان خاتمة المطاف فى تأليف هذا النوع من الكتب ذات الموضوعات المتعددة هو كتاب : (المخصص) لابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى ، اللغوى المتوفى سنة ٤٥٨هـ) ، إذ أن هذا الكتاب : « توج هذا النوع من الكتب وسما به إلى القمة »[1] .

ابن سيده وأبو عبيد :

وقد سار ابن سيده فى كتابه (المخصص) على نهج كتاب (الغريب المصنف

---

(١) د . حسين نصار – المعجم العربى : ١ / ٢١١ .

لأبى عبيد) – فى كثير من الأحيان – وذلك فى تقسيم الكتب والأبواب والفصول ، ثم أدخل بعض الأبواب التى لم يتعرض لها سابقة ، وحشا الأبواب المشتركة بينهما بما أغفله أبو عبيد ، وأخذ هذه المواد – الزائدة – من الكتب.التى ألفت بعد أبى عبيد أو التى لم يطلع عليها[1] .

وإن كانت بينهما نقاط خلاف جوهرية ، أهمها : أن ابن سيده اختلف مع أبى عبيد فى صنف العلماء الذين رجع إليهم كل منهما .

فقد قصر أبو عبيد مراجعه على اللغويين ، أما ابن سيده : فأشرك معهم النحويين والصرفيين ولا سيما : سيبويه وأبا علىّ الفارسى والسيرافى وابن جنى ، فوُجدت عنده أبواب نحوية صرفية خالصة لا نجدها فى كتب غيره ، وأبواب يغلب عليها التعليلات النحوية والصرفية[2] .

مكانة المخصص بين معاجم الموضوعات :

وقد كان ابن سيده ينقب فى كل موضوع من موضوعاته عن أحسن كتاب أو كتب ألفت فى هذا الموضوع ، وأغزرها مادة ، ثم يجعلها عماده ويكملها بما يعثر عليه فى الكتب الأخرى .

ولذلك يعد كتابه (المخصص) أغزر هذا اللون من المعاجم مادة ، وأغناها بالمفردات اللغوية ، بالإضافة إلى ما نثر فيه من المعارف النحوية والصرفية .

منهجـه :

ظهر تأثر ابن سيده بالمنطق فى الأبواب التى أدخلها فى المخصص ، وفى علاجه لمواده ، فنظر إلى كل كتاب منها نظرته إلى الكتاب الكامل المستقل ، فصدره بتعريف الألفاظ العامة الشاملة ، ثم بدأ بالموضوعات العامة فالخاصة .

---

(١) انظر مراجعه كاملة ومفصلة فى : المخصص ١ / ١٢ ، ١٣ .

(٢) د . حسين نصار – المعجم العربى : ١ / ٢١٢ .

وكل هذا يجعل من المخصص أهم كتاب فى المعاجم الموضوعية[1] .

وإن شئت فانظر (كتاب خلق الإنسان) فى المخصص[2] فقد قال ابن سيده : « الإنسان : لفظ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بصيغة واحدة » ثم يذكر من الأمثلة والشواهد القرآنية وغيرها ما يدل على صدق ما ذهب اليه .

ثم قسم (كتاب خلق الإنسان) إلى أبواب موضوعية منطقية ، هى :

- باب الحمل والولادة[3] .
- أسماء ما يخرج مع الولد[4] .
- الرضاع ، والفطام ، والغذاء ، وسائر ضروب التربية[5] .
- الغذاء السىء للولد[6] .
- أسماء أول ولد الرجل وآخرهم[7] .
- أسماء ولد الرجل فى الشباب والكبر[8] .
- أسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر[9] .

وهكذا يظل ابن سيده مع الإنسان وصفاته وكل ما يتصل به متدرجا به من الأعم إلى العام إلى الخاص إلى الأخص حتى يصل إلى (باب السكوت)[9] ،

---

(1) انظر : مقدمة محققى : المحكم لابن سيده (مصطفى السقا ود . حسين نصار) ص ١٣ ، ١٤ ط الحلبى ١٩٥٨ ، المعجم العربى – د . نصار : ١ / ١١٢ .

(2) ج ١ ص ١٥ نشر المكتب التجارى للطباعة بيروت .

(3) ج ١ ص ١٥ .

(4) ج ١ ص ٢٣ .

(5) ج ١ ص ٢٥ .

(6) ج١ ص ٢٩ .

(7) ج ١ ص ٣٠ .

(8) ج ٢ ص ١٤٦ .

(9) ج ٢ ص ١٤٨ .

ثم يبدأ فى كتاب جديد هو : (كتاب الغرائز)[1] بتفصيلاته وأبوابه .

اهتمام ابن سيده بقضايا لغوية كثيرة :

وقد اهتم ابن سيده فى كتابه (المخصص) بكثير من قضايا اللغة مثل :

١ - التضاد :

ولذلك قال فى مقدمته[2] :

فأما اللفظة التى تدل على كميتين مختلفتين منفصلتين أو متصلتين ، **كالبشر** الذى يقع على العدد القليل والكثير .

والجلل : الذى يقع على العظيم والصغير .

واللفظة التى تدل على كيفتين متضادتين : **كالنَّهَل** الواقع على العطش والرى .

واللفظة الدالة على كيفيات مختلفة ، **كالجَونْ** : الواقع على السواد والبياض والحمرة .

وكالسُّدْفة : المقولة على الظلمة والنور وما بينهما من الاختلاط :

فسآتى على جميعها مستقصى فى فصل الأضداد من هذا الكتاب ، مثبتا له غير جاحد ، ومضطرا إلى الإقرار به على كل ناف معاند ، ومبرئا للحكماء المتواطئين على اللغة ، أو الملهمين إليها من التفريط ، ومنزها لهم عن وَسْمِهِم فى ذلك بالذهاب إلى الإلباس والتخليط .

٢ - الترادف :

وكذلك أقول على الأسماء المترادفة التى لا يتكثر بها نوع ، ولا يحدث عن كثرتها طَبع ، كقولنا :

---

(١) ج ٢ ص ١٤٨ .
(٢) المخصص : ١ / ٣ .

فى الحجارة : حَجَر وصفاة ونقلة .

وفى الطويل : طويل وسَلِبٌ وشَرْحَبٌ .

٣ - المشترك :

وعلى الأسماء المشتركة التى تقع على عدة أنواع : كالعين المقولة على : حاسة البصر ، وعلى نفس الشىء ، وعلى الربيئة[1] ، وعلى جوهر الذهب ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر الدائم ، وعلى حُرِّ المتاع ، وعلى حقيقة القِبْله .

وغير ذلك من الأنواع المقولة عليها هذه اللفظة .

ومثل هذا الاسم مشترك كثير ، وكل ذلك ستراه واضحا أمره مُبَيَّنا عذره فى موضعه إنشاء الله .

٤ - أصل اللغة :

ثم بدا ابن سيده يتحدث عن أصل اللغة ، وهل هى تواضع واصطلاح أم وَحْى ، و توقيف[2] ؟

ثم تكلم عن حد اللغة فقال : « هى أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » .

وهى عنده على وزن فُعْلَة لأن أصلها : لُ غْ وَ هْ[3] .

سبب تأليفه لهذا الكتاب :

قال : « فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عما نتصوره ، وتشتمل عليه أنفسنا : أحببت أن أجرد فيها كتابا يجمع ما تنشَّر من أجزائها شعاعا ، وتنتر من أشلائها ، حتى قارب العدم ضياعا ، ولا سيما هذه اللغة المكرمة ، الرفيعة .

---

(١) أى : الطليعة .

(٢) المخصص : ١ / ٣ .

(٣) السابق : ص ٦ .

مآخذه على القدامى الذين ألفوا فى اللغة قبله :

١ – ثم إنى لم ار لهم فيها كتابا مشتملا على جُلّها فضلا عن كلها .

٢ – مع أنى رأيت جميع من مد إلى تأليفها يدا ، وأعمل فى توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وخاطرا : قد حرموا الارتياض بصناعة الإعراب . . . . فإنا نجدهم :

أ – لا يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء .

ب – ولا يحدون الموضع الذى انقلاب الألف فيه عن الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك .

جـ – ولا يميزون مما يخرج على هيئة المقلوب : ما هو منه مقلوب وما هو من ذلك لغتان .

وذلك : كجذب وجبذ ويئس وأيس ورأى وراء .

د – وكذلك لا ينبهون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز . . .

هـ – ولا يفرقون بين القلب والإبدال .

و – ولا بين ما هو جمع يكسر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع[1] .

تشوقه إلى تأليف كتاب شامل للغة :

فاشرأبت نفسى . . . إلى أن أجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط إلىّ من اللغة إلا مالا بال به .

وأن اضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها ، وأحكم فى ذلك تفريعها وتأصيلها ، وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه . . .

---

(١) المخصص : ١ / ٧ .

وعن سبب اختياره نظام التبويب أو الموضوعات ، قال :

« لما وضعت كتابى الموسوم بالمحكم مجنسا[1] لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة :

أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبوبا حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المِدْرَه[2] ، والبليغ المفوه ، والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع ، فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة : تنقّى الخطيب والشاعر منها ما شاءا ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية[3] .

وكأنه يعتذر بهذا العذر ، عن الصعوبة التى يلقاها الباحث فى مثل هذه الكتب ذات الموضوعات ، حين يريد الوصول إلى معنى كلمة من الكلمات ، لأن أمثال هذه الكتب لم تُنشأ لهذا الغرض وإنما أُلفت بهدف تجميع الكلمات التى تخص موضوعا معينا فى مكان واحد .

التأليف فى معاجم الموضوعات بعد ابن سيده :

كل ما ألف بعد المخصص لا يكاد يعتد به فى هذا المجال ؛ لأنه عبارة عن اختصارات لهذا الكتاب العملاق الذى جمع شتات اللغة واهتم بكثير من قضاياها فى أبواب وموضوعات[4] .

***

---

(١) المعجم المجنس : هو الذى يقوم بضبط الألفاظ ، وبيان أصلها وشرح مدلولها ، مع ترتيبها ترتيبا يسهل الكشف عنها .

(٢) أى : زعيم القوم .

(٣) المخصص : ١ / ١٠ .

(٤) انظر : المعجم العربى – د . حسين نصار : ص ٢٠٩ .

نموذج من كتاب المخصص لابن سيده

من كتاب الطعام

أسماء ما يؤكل عليه[1]

صاحب العين[2] : المائدة : التى يؤكل عليها .
أبو حاتم[3] : المائدة : الطعام ، وإن لم يكن هناك خِوان .

قال أبو على[4] : لا تسمى المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام ، وإلا فهى خوان .

ابن السّكيت : خِوان وخُوان .

قال سيبويه : وجمعهما : أخونة ، أتموا ليفرقوا بينه وبين أفعل كأُبيع ونحوها ، وفى الكثير خُوْن ، أصله : خُوُن إلا أنهم لم يحركوا الواو كراهة الضمة فيها والضمة قبلها ، ورجعوا فيها إلى اللغة التميمية ، ووافق الذين يقولون فُعال الذين يقولون فِعال ، لاتفاقهما فى العِدَّةِ وحرف اللين .

أبو حاتم : المائدة : الطعام نفسه ، والعوامُّ يظنونه الأخونة .

ابن دريد : الدَّيْسَق والفاتور والقُذْمور ، كُلُّه : الخِوان من الفضة .

قُطرب : الرَّبعَةُ -- ما بين قوائم الخِوان ، وقد تقدم أنها ما

---

(١) المخصص : ٥ / ١١ .

(٢) أى : الخليل بن أحمد الفراهيدى .

(٣) أى : السجستانى .

(٤) الفارسى أستاذ ابن جنى .

بين الأثافى[1] .

صاحب العين : العَقْر : ما بين قوائم المائدة وقيل : العقر : فَرْج ما بين كل شيئين ، وقال : دَسِيعةُ الرجل : مائدته إذا كانت كريمة . . . وقيل : الدسيعة : الجَفْنَة وسيأتى ذكرها ، والطبق : الذى يؤكل عليه والجمع أطباق .

ابن السكيت : الطِّرِيَّان : الذى يؤكل عليه .

ابن جنى : وهو الطريان ، وأنشد :

فلا خبز ولا سمك طرىٌّ يعرض فوق ظهر الطِّرِيَّان

أبو على : المِهْدَى : الطبق الذى يهدى فيه .

صاحب العين : صبير الخِوان : رُقَاقَةٌ عريضة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام .

أبو عبيد : القنْع والقِناع : الطبق الذى يؤكل عليه .

الشيبانى[2] : وهو الكرامة .

أبو حنيفة[3] : الوضم : ما وضع عليه الطعام ليؤكل .

وقد تقدم أنه : ما يوضع عليه اللحم وأنشد :

* دَقًّا كدَقِّ الوضَمْ المرقـوش *

الرقش : الأكل الشديد .

---

(۱) قوائم الكانون .

(۲) هو : أبو عمرو الشيبانى .

(۳) هو أبو حنيفة الدينورى (أحمد بن داود) جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب – ت ۲۸۲هـ .

ونلحظ مما سبق :

١ – أن ابن سيده جمع كل ما وقعت عينه عليه ، حول موضوع أسماء ما يؤكل عليه .

٢ – وأنه ذكر أسماء اللغويين والنحاة الذين أخذ عنهم ، بخلاف ما يقوله بعض الباحثين من أنه : « حذف مما نقله أسماء اللغويين الواردة فيه ، فقلت الأسماء عنده تماما »[١] .

٣ – وساق بعض الشواهد الشعرية على ما قاله ، وإن كان لم يذكر أسماء الشعراء ، بل أكتفى بقوله : (وأنشد) .

٤ – أن طريقته فى جمع الأسماء الكثيرة للمسمى الواحد ، تفيد الشاعر والناثر فيما يكتبان لأنه – كما قال ابن سيده فى مقدمة كتابه[٢] – : « إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة : تنقَّى الخطيب والشاعر منها ما شاءا ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية » .

٥ – وأن تلك الطريقة : حفظت كثيرا من مفردات اللغة من الضياع ، حيث لا يستعمل منها إلا أقل القليل ، فلو لم يكن هناك وعاء – كالمخصص الذى ضم بين جنباته فرائد اللغة ونوادرها – لضاعت وما بقى منها إلا ما يستعمل فقط .

٦ – أما ما يمكن أن يقال عنه : من أن البحث فيه عن كلمة صعب : فليس له محل ، وما ذلك إلا لأن الغرض من المخصص أن لا يكون معجما لفظيا ، وإنما كان الغرض منه كما قال ابن سيده[٢] : « لما وضعت كتابى الموسوم بالمحكم مجنسا لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة : أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبوبا وذلك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المفوه والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع » .

---

(١) د . حسين نصار : المعجم العربى : ١ / ٢١٢ .

(٢) المخصص : ١ / ١٠ .

وبعد : فقد أدت معاجم الموضوعات العربية القديمة دورا كبيرا فى حفظ اللغة ورصد كلماتها ، وجمع متفرقها ، ولكنها لم تغن « عن لون آخر » يشرح اللفظة ، ويجلو غامضها ، ويعالج مشتقاتها ، حين ترد فى نص أدبى يتوقف فهمه على فهم مدلولها ، ولا تستطيع الكتب المشار إليها قبلُ : الإرشاد إليه ، إذ أنها تسير فى طريق مقابل ، تفترض معرفة الموضوع والمعنى ثم ترشد إلى اللفظ »[1] .

ولذلك - فسوف أتحدث فيما يلى ؛ عن المعاجم التى عنيت بالألفاظ ، واهتمت بها على النحو السابق الذكر ، مبينا مدارسها ، ومبادىء كل مدرسة منها ، وأهم تلاميذ تلك المدرسة .

***

(١) د . عبد السميع محمد أحمد - المعاجم العربية - الكتاب الأول : ص ١٤ .

الباب الثالث

معاجم الألفاظ

تمهيد :

رأينا معاجم الموضوعات أو المعانى ؛ وقد تدرجت فى ظهورها حتى وصلت إلى ذروتها فى كتاب المخصص لابن سيده .

ولكن معاجم الألفاظ ظهرت طفرة واحدة على يد الخليل بن أحمد (ت ١٧٥) ، صاحب معجم العين .

ثم تفنن مؤلفوها فى طريقة ترتيب ألفاظها – خدمة للقارىء وطلبا للسهولة – مما جعلها تتميز فيما بينها وبين بعضها ، وتظهر بينها فروق جعلتها تتفرق إلى ثلاث فرق أو مدارس معجمية .

المدرسة الأولى : مدرسة التقليبات الصوتية :

قائدها الخليل بن أحمد ، فى معجمه العين .

وتقوم هذه المدرسة على أساس.ترتيب المواد اللغوية حسب مخارج الحروف : مع جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة ؛ فى موضع واحد ، ووضعها تحت أبْعَدِ حروفها مخرجا .

وقد تفرع عن هذه المدرسة فرع آخر هو : **التقليبات الهجائية** ، وقائده : ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) فى كتابه : جمهرة اللغة . فقد رأى صعوبة الترتيب الصوتى ، ومن ثَمَّ رتب مواد كتابه حسب أسبق حروف المادة ترتيبا فى الألفبائية العادية ، مع جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة فى موضع واحد .

***

المدرسة الثانية : مدرسة القافية :

وقائدها : إسماعيل بن حماد الجوهرى (ت نحو : ٤٠٠ هـ) ، فى معجمه : تاج اللغة وصحاح العربية وقد قسم هذا المعجم إلى أبواب ، والأبواب إلى فصول ، وعد الحرف الأخير من الكلمة بابا والحرف الأول منها فصلا .

المدرسة الثالثة : مدرسة الألفبائية العادية :

ورائدها : ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فى معجمه : مجمل اللغة ، الذى قسمه إلى أبواب تبلغ ثمانية وعشرين بابا ، بعدد حروف الهجاء ، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهى بكتاب الياء .

ثم حشا هذه الكتب بالمواد التى أولها الحرف عنوان الكتاب .



الفصل الأول

مدرسة التقليبات الصوتية وأشهر معاجمها

سبب وجودها :

عرفنا أن هذه المدرسة هى أول مدرسة معجمية عربية وأنها كانت سببا فى ظهور فن معاجم الألفاظ طفرة واحدة ، دون أن يسبق بإرهاصات ، وذلك لأن مبتكرها (الخليل بن أحمد) لم يجد فيما بين يديه - من رسائل لغوية صغيرة - منهجا يبلغه غرضه الذى يرمى إليه ، وهو : ضبط اللغة ، وحصرها ، وشرح معانى ألفاظها ، ولذلك فكر فى منهج جديد يحقق غرضه ، وكان هذا سببا فى تأليفه لكتابه : العين ، الذى سارت على نهجه كتب أخرى .

كتاب العين

للخليل بن أحمد الفراهيدى

التعريف بمؤلفه :(*)

هو : أبو عبد الرحمن : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ويقال الفرهودى . والفراهيدى : نسبة إلى فراهيد ، وهى بطن من الأزد ، والفرهودى مفرد (فراهيد) .

(*) انظر فى ذلك : معجم الأدباء لياقوت الحموى ١١ /٧٢ - ٧٧ نشر دار المأمون بمصر ، وَفَيَات الأعيان لابن خلكان بتحقيق : محمد محى الدين : ٢ /١٥ - ١٩ - مكتبة النهضة بمصر ، بُغية الوعاة ، فى طبقات اللغويين والنحاة - للسيوطى - بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ١ / ٥٥٧ - ٥٦٠ ط عيسى الحلبى بمصر ، والعين : بتحقيق د . عبد الله درويش : ص ٤ وما بعدها - مطبعة العانى - ببغداد .

ولد سنة ١٠٠ هـ - على أرجح الروايات - فيما يعرف الآن باسم عُمَان على شاطئ الخليج العربى ، ثم انتقل إلى البصرة غلاما ، فشب بها وتلقى العلم ودرس ، ولذلك يشتهر بلقب : البصرى .

وكان الخليل من اللغويين القلائل ، الذين انحدروا من أصل عربى صِرْف ، فلم يكن من الموالى كما كان غيره من أمثال سيبويه (تلميذه) (ت ١٨٠ هـ ، وأبى عمرو بن العلاء (أستاذه) (ت ١٥٤ هـ) .

وكان الخليل يعيش فى شظف من العيش ! ومع ذلك كان راضيا قانعا ، لأنه كان زاهدا فى متاع الدنيا ، كما كان يحج عاما ويغزو عاما فى سبيل الله .

عبقريته العلمية :

كان الخليل إمامًا فى النحو والصرف والعروض ، والعلوم الإنسانية بصفة عامة .

وقد تخرج فى مدرسته كثير من النوابغ ، أشهرهم : سيبويه صاحب (الكتاب) فى النحو ، والذى نقل فيه كثيرا عن الخليل ، واعتمد عليه اعتمادا كبيرا ، حتى إنه لم تكن تخلو صفحة من صفحات هذا الكتاب دون أن يشير إلى رأى من آراء الخليل .

ولم تقتصر براعته على علوم اللغة ، ولكن تعدتها إلى علم الموسيقى والنغم ، الذى ألهمه علم العروض وافيا كاملا على غير مثال سابق .

هذا بالإضافة إلى براعته فى علم الحساب وسبقه به زمانه .

آثاره العلمية :

١ - كتاب العين - الذى نحن بصدده .

٢ - كتاب النقط والشكل .

٣ - كتاب النغم .

٤ – كتاب العروض .
٥ – كتاب الشواهد .
٦ – كتاب الإيقاع .
٧ – كتاب الجُمل .

نسبة كتاب العين إلى الخليل :

اختلفت الآراء حول نسبة كتاب العين إلى الخليل اختلافا كبيرا ، ويتلخص هذا الخلاف فى وجهات النظر التى ذهبت إلى ما يأتى :[1] .

أولا : الخليل لم يؤلف كتاب العين ولا صلة له به .
ثانيا : الخليل لم يضع نص كتاب العين ، ولكنه صاحب الفكرة فى تأليفه .
ثالثا : الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين ، ولكن قد اشترك معه غيره فى ذلك .
رابعا : الخليل عمل من كتاب العين أُصُولَه ، ورتب أبوابه ، وصنف مواده ، ولكن غيره حشا المفردات .
خامسا : الخليل عمل كتاب العين ، بمعنى أنه ألفه ، ثم روى عنه .

ولا مجال الآن لتفصيل هذه الآراء وتفنيدها ، خاصة وأنها قد بُحِثت ومُحصت وفُنِّدت من كثيرين[2] ، ولكن ما تطمئن إليه النفس هو : أن **الخليل بن أحمد هو مؤلف كتاب العين من أوله إلى آخره** ، وأن تلميذه الليث بن المظفر بن نصر كان راويته فى ذلك[3] .

ومن أكبر الأدلة على هذا : بداية الكتاب التى بدأت بالإسناد – شأن الكتب

---

(١) د . عبد الله درويش – كتاب العين : ص ٧ .
(٢) انظر : مقدمة العين للدكتور عبد الله درويش : ص ٨ – ٢٧ ، وانظر : المعجم العربى – د . نصار – ١ /٢٧٩ وما بعدها ، البحث اللغوى عند العرب : د . أحمد مختار عمر ص ١٦٤ وما بعدها .
(٣) مقدمة العين د . درويش : ص ٢٧ .

اللغوية الأولى – والتى قيل فيها :(1) « قال أبو معاذ ، عبد الله بن عائذ : حدثنى الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما فى هذا الكتاب .

قال الليث : قال الخليل :

كلام العرب مبنى على أربعة أصناف : على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى » . . . إلخ .

فكلمة « بجميع ما فى هذا الكتاب » : تدل دلالة قاطعة على أن الخليل ألَّف الكتاب كله وليس جزءا منه .

كما أن هذا الكتاب روى بطرق مختلفة عن الليث عن الخليل ، فقد ذكر ابن فارس فى معجمه (مقاييس اللغة) ما نصه :(2)

كتاب العين (للخليل بن أحمد) : أخبرنا به على بن إبراهيم القطان فيما قرأت عليه ، قال :

أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعدانى ، عن أبيه إبراهيم بن إسحق ، عن بُندار بن لِزَّة الأصفهانى ، ومعروف بن حسان ، عن الليث عن الخليل . كما **ذكر السيوطى طريقة أخرى من طرق رواية الكتاب ، حيث قال :(3)**

روى أبو على الغسانى كتاب العين عن الحافظ أبى عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضى : منذر بن سعيد ، عن أبى العباس أحمد بن محمد بن ولَّاد النحوى ، عن أبيه ، عن أبى الحسن على بن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، عن الخليل .

وكل هذا يقطع بصحة نسبة هذا الكتاب الى الخليل بن أحمد ويجعلنا نطمئن إلى صحة هذه النسبة .

---

(1) العين – بتحقيق : د . درويش ص ٥٣ .
(2) معجم مقاييس اللغة – بتحقيق : هارون : ١ /٣ ، ٤ .
(3) المزهر : ١ / ٩١ ، ٩٢ .

طبع معجم العين :

وقد طبع الجزء الأول من كتاب العين بتحقيق الدكتور عبد الله درويش عن ثلاث نسخ مخطوطة ، ولكنه لم يكمل تحقيقه ، فقام بهذه المهمة الدكتوران : إبراهيم السامرائى ومهدى المخزومى – من العراق – ونشرا الجزء الأول سنة ١٩٨٠م ، ثم توالت بقية الأجزاء ، حتى خرج الجزء الثامن والأخير فى عام ١٩٨٥م .

غرض الخليل من تأليف العين :

كانت مفردات اللغة تجمع فى عصر الخليل وقبله – كما بينّا فى معاجم الموضوعات – حفاظا عليها من الضياع ، وتوسلا بها إلى معرفة ما يخفى على الناس من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ولكن طريقة الجمع لم تكن تسير على خطة معينة ، توصل فى النهاية إلى حصر اللغة حصرا شاملا ، بل كانت فى أول أمرها تجمع ألفاظا لا يربطها رابط ثم أضحت تجمع ألفاظا تتصل بموضوع معين : كالريح ، أو المطر ، أو الخيل ، أو غير ذلك[1] .

ولكن الخليل وجد أن هذا : لا يحقق جمع اللغة جمعا كاملا حاصرا غير مكرر من ناحية ، ولا يسهل للناس طريق الوصول إلى معانى الألفاظ الغامضة من ناحية أخرى ، ولذلك عزم على تأليف معجم العين ليحقق منه الغرضين السابقين .

وقد صرح بذلك فى مقدمة معجم العين حيث قال :[2] .

« بدأنا فى مؤلفنا هذا بالعين[3] ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب » .

---

(١) انظر : ضحى الإسلام – أحمد أمين : ٢ / ٢٧٠ ، الفكر المعجمى عند العرب – د . عبد المنعم عبد الله وآخر : ص ٣٧ .

(٢) العين – بتحقيق د . عبد الله درويش : ١ / ٦٧ .

(٣) أى بكتاب العين أو باب العين .

منهجه فى ترتيب مواد العين :

وضع الخليل نُصب عينيه عدة أسس بنى عليها منهجه ، الـذى اتبعه فى ترتيب مواد معجم العين .

الأساس الأول :

تجريد الكلمة من زوائدها ، حتى يمكن وضعها فى مكانها المناسب لها – حسب أصولها – بين ثنايا المعجم ، مع ملاحظة أنـه **إذا كان أحد أحرف الكلمة محذوفا:رده إلى مكانه ، وإذا كان مقلوبا** : رده إلى أصله الأول .

فالكلمات : استكبر – تقاتل – تمنطق – تخلخل – عثمان :

جردها من زوائدها فأصبحت كما يلى :

كبر – قتل – نطق – خلخل – عثم .

والكلمات : يد ، فم ، أخ ، أب .

تصير بعد رد المحذوف إليها :

يَدَىٌ – فَمَوٌ – أَخَوٌ – أَبَوٌ .

والكلمات : ميقات – إرث – قال – باع ، تصبح – بعد رد كل حرف إلى أصله – من المواد الآتية :

وَقَت – لأن ميقات أصلها : موقات .

ووَرِثَ – لأن أصل الهمزة فى الإرث : الواو .

وقَوَل – لأن ألف قال أصلها واو ، وقد عرفنا ذلك بعد ردها إلى المضارع (يقول) .

وَبَيَعَ – لأن ألف باع أصلها ياء ، وقد عرفنا ذلك بعد ردها إلى المضارع : (يبيع) .

وقد كان الخليل – فى هذا – رائدا لكل من أتى بعده من أصحاب المعاجم العامة .

الأساس الثانى :

تقليب الحروف التى تتكون منها الكلمة على كل وجه ممكن ، ليتمكن من حصر جميع ألفاظ اللغة ، مع التنبيه على المستعمل وشرح معانيه ، وإهمال المهمل ، وخاصة فى الرباعى والخماسى .

فإذا كانت أصول الكلمة ثنائية قلبها على وجهين فقط ، مثل ل ن ، و ن ل .

وإذا كانت أصولها ثلاثية قلبها على ست صور مثل :

ب ك ر فإنه يمكن أن يأتى منها أيضا :

ب ر ك ، ك ب ر ، ك ر ب ، ر ب ك ، ر ك ب

وإذا كانت أصولها رباعية – مثل جعفر – قلبها على أربع وعشرين صورة .

وإذا كانت أصولها خماسية – مثل زبرجد – قلبها على مائة وعشرين صورة ، وقد نبه الخليل على ذلك فى مقدمة العين ، حيث قال[1] :

اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو : قد ، دق ، شد ، دش ، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهى نحو ضرب ، ضبر .. الخ . .

---

(١) العين : بتحقيق د . درويش : ١ / ٦٦ .

والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها ، وذلك أن حروفها - وهى أربعة أحرف - تضرب فى وجوه الثلاثى الصحيح - وهى ستة - فتصير أربعة وعشرين وجها ، يكتب مستعملها ، ويلغى مهملها ، وذلك نحو عبقر يقوم منه :

عقرب ، عبرق ، عقبر ، عبقر ، عرقب ، عربق / قعرب ، قعبر ، قبعر ، قبرع ، قرعب ، قربع / رعقب رعبق ، رقعب ، رقبع ، ربقع ، ربعق / بعقر بعرق ، بقعر ، بقرع ، برعق ، برقع .

والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها ، وذلك أن حروفها - وهى خمسة - : تضرب فى وجوه الرباعى - وهى أربعة وعشرون حرفا - : فتصير مائة وعشرين وجها ، يستعمل أقله ، ويلغى أكثره ، وهى نحو سفرجل ، سفرلج ، سفجرل ، سجفرل ، سجرلف ... وهكذا .

الأساس الثالث :

وضع هذه الأصول - التى قلَّبها على كل وجوهها الممكنة - تحت أبعد الحروف منها مخرجا .

لأنه اتخذ الترتيب الصوتى أساسا لتنظيم معجمه ، حيث رتب الحروف مبتدئا بالحلق ومنتهيا بالشفتين ، ولذلك جاء ترتيبه للحروف كما يلى :

ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ا ى همزة[1] .

---

(١) العين : بتحقيق د . درويش : ١ / ٥٣ .

وقد نظمها المُعَافِرى فى قوله :[1] .

يا سائلى عن حروف العين دونكَها ... فى رُتب ضَمَّها وزْن وإحْصَاء
العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكْفَاءُ
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاى بعدها طاء
والدال والتاء ثم الظاء متصل ... بالظاء : ذال وثاء بعدها راء
واللام والنون ثم الفاء والباء ... والميم والواو والمهموز والياء

وعلى ذلك فكلمة الموقف – مثلا – تجرد أولا من زوائدها فتصبح : وقف ، فتوضع – هى ومقلوباتها – فى مكان واحد هو حرف : القاف ، لأنها أبعد الحروف الثلاثة مخرجا .

وكلمة ارتعش : تجرد من زوائدها فتصبح : رعش ثم توضع – هى ومقلوباتها – فى مكان واحد هو حرف : العين ، لأنها أبعد الحروف الثلاثة مخرجا . . وهكذا .

الأساس الرابع :

تقسيم كل حرف من حروفه إلى ستة أبواب[2] :

١ – الثنائى ومضاعفه مثل : قَدْ ، قَدَّ ، دَقَّ ، عَفَّ ، فَعَّ ، رَصْرَصَ ، صَرْصَرَ .

٢ – الثلاثى الصحيح وهو ما كانت أحرفه الثلاثة صحيحة مثل :

نجم – قتل – برز – ظهر .

٣ – الثلاثى المعتل بحرف علة واحد وهو ثلاثة أنواع :

أ – المثال : ما اعتلت فاؤه مثل : وقف ، وعد

---

(١) المزهر : ١ / ٨٩ .

(٢) انظر : معجم العين – بتحقيق : د . مهدى المخزومى وآخر – الجزء الأول والأجزاء التالية له – نشر مؤسسة الأعلمى ببيروت – لبنان .

ب - الأجوف : ما اعتلت عينه مثل : باع ، قال

جـ - الناقص : ما اعتلت لامه مثل : عَيِىَ ، نمى

٤ - الثلاثى اللفيف : ما اشتمل على حرف صحيح ، وحرفين من حروف العلة ، وهو نوعان :

أ - اللفيف المقرون : ما اجتمع فيه حرفا العلة ، مثل : غوى - نوى .

ب - اللفيفُ المفروق : ما تفرق فيه حرفا العلة مثل : وَهَى ، وَقَى .

٥ - الرباعى : ما تكون من أربعة أحرف أصلية مثل : جعفر ، دحرج .

٦ - الخماسى : ما تكون من خمسة أحرف أصلية مثل : خُزَعْبل ، زبرجد .

وقد فعل الخليل ذلك لأنه لاحظ[1] أن « كلام العرب مبنى على أربعة أصناف : على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى » .

كما لاحظ[2] أنه « ليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف . فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف : فى فعل واسم ، فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليست من أصل الكلمة مثل قَرَعْبَلَانَه ، إنما أصل بنائها ، قَرَعْبَل ، ومثل عنكبوت ، إنما أصل بنائها : عنكب » .

كيفية الكشف عن مادة من مواد العين :

لنفرض أننا كُلفنا بالكشف عن الكلمات الآتية فى معجم العين وهى : الوعى - المتدحرج - الفم - الإرث .

فإننا نتبع الخطوات الآتية - حسب الأسس التى اختارها الخليل ليبنى عليها ترتيب معجمه - :

---

(١) العين بتحقيق د . درويش : ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥٤ .

أولا : نجرد الكلمات من زوائدها ، فتصبح كما يلى :

وعى - دحرج - فم - إرث .

ثانيا : نرد الحرف المحذوف إلى مكانه فيصبح فم : فَمَوٌ .

ثالثا : نرد الحرف المقلوب إلى أصله فتصبح إرث : ورث .

رابعا : نبحث عن أبعد الحروف مخرجا فى كل كلمة - حسب ترتيب الخليل السابق الذكر[1] - فنجدها كما يلى :

وعى : أبعد حروفها مخرجا : العين ، فتكون فى حرف العين .

دحرج : أبعد حروفها مخرجا : الحاء ، فتكون فى حرف الحاء .

فمو : أبعد حروفها مخرجا : الفاء ، فتكون فى حرف الفاء .

ورث : أبعد حروفها مخرجا : الثاء ، فتكون فى حرف الثاء .

خامسا : نحدد مكان كل كلمة فى كتابها حسب ما بنيت عليه من حروف ، وبناء على ذلك نجد :

وعى : فى حرف العين : باب اللفيف المفروق .

دحرج : فى حرف الحاء : باب الرباعى .

فمو : فى حرف الفاء : باب الثلاثى المعتل .

ورث : فى حرف الثاء : باب الثلاثى المعتل .

وكل ذلك يتطلب مهارة صوتية وصرفية ، قد لا تتوفر عند كثيرين ، ولذلك اتسم منهج الخليل بالصعوبة ، مما حدا بالمعجميين بعده إلى أن يذللوا للناس ما صعب فى منهجه ، وإلى أن يطوروا معاجمهم ، نزوعا إلى اليسر والسهولة ، وذلك كما نرى من دراستنا للمعاجم العربية التى أعقبت معجم الخليل ، فى أزمان متعاقبة .

---

(١) انظر ص : ٩٠ من هذا الكتاب .

لِمَ سُمِّيَ معجم الخليل باسم : العين ؟

سمى بهذا الاسم لأنه بدأ كتابه بالعين ، حيث قال[1] : « بدأنا فى مؤلفنا هذا بالعين ، ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب : الواضح والغريب » .

ولما كان (العين) أول كتاب يقابل القارىء : فقد اشتهر بهذا الاسم ، خاصه وأن صاحبه لم يضع له اسما آخر .

ولِمَ بَدَأَ بالعين ولم يبدأ بغيرها : ؟

مما لا شك فيه أن الخليل قد فطن إلى أن الهمزة أعمق مخرجا من العين ، ولكنه لاحظ عليها التغير ، فمرة تتحول إلى مَدَّةٍ ، ومرة تحذف ، ولذلك فقد عدها ضمن حروف العلة ، ولم يبدأ بها كتابه .

كما فطن أيضا إلى أن الهاء تلى الهمزة فى الحلق ، وتسبق العين ، ولكنه وجدها مهموسة خفية ، فلم يشأ أن يبدأ بها . ثم اتجه إلى ما هو أعلى منها فى الحلق ، فوجدها : العين ، وعرف - من صفاتها - أنها أصلح حروف الحلق للبدء بها ، لأنها مجهورة[2] .

نموذج من معجم العين :

من : حرف العين - الثنائى المضاعف

باب العين والذال[3]

(ذَعَّ : مستعمل فقط) .

ذَعَّ : الذعذعة : تحريك الريح الشىءَ حتى تفرقه وتمزقه ، يقال : قد ذَعْذَعْتُه ، وذعذعت الريح الترابَ : فَرَّقَتْهُ وسَفَتْه فتذعذع ، قال النابغة :

---

(١) العين : بتحقيق د . درويش : ص ٦٧ .

(٢) انظر المرجع السابق . ص ٣٤ ، المزهر للسيوطى : ١ / ٩٠ ، البحث اللغوى عند العرب - د . أحمد مختار عمر : ص ١٧٠ .

(٣) العين : بتحقيق د . درويش ص ٦٧ .

غَثِيثُ لَهـا مَنَـازِلَ مُقْوِيَـاتٍ تُذَعْذِعُهَـا مُذَعْذِعَـةٌ حَنُـونُ

باب العين والثاء[1]

(ع ث ، ث ع)

عث : العُثَّةُ : السُّوسَةَ ، عثَّت العُثَّة الصوف تَعثُه عثًّا : أى أكلته .

والعَثْعَثُ : ظَهْرُ الكَثِيبِ إذا لم يكن عليه نبات

قال القطامى :

كـأنها بيضةٌ عَـزَّاء حُـدُّ لها فى عَثْعَثٍ يُنبت الحوذان والعَذَما[2]

ثَعَّ : الثعثة : حكاية كلام الرجل يغلب عليه الثاء والعين ، فهى لُثْغَةٌ فى كلامه .

من : باب الثلاثى الصحيح من حرف العين

باب العين والهاء والكاف[3]

(هـ ك ع ، مستعمل فقط)

هكع :

يقال : هكع يهكع هُكوعا : أى سكن واطمأن ، قال الطِّرِمَّاح :

ترى العين فيها من لدُنْ متع الضحا إلى الليل فى الغَيْضات وهى هَكُوع

***

(١) العين : بتحقيق د. درويش ص ٦٧ .

(٢) الحوذان والعذما : نباتان – اللسان : حوذ ، عذم .

(٣) العين – ص ١١٢ .

باب العين والهاء والجيم[1]

(ع هـ ج ، هـ ج ع ، مستعملان)

عهج :

العوهج : ظبيةٌ حسنةُ اللون ، طويلة العنق ، يقال : هى التى فى حَقْوَيها خطان سوداوان .

والناقة الفتيةُ . عَوْهَج . والنعامة : عوهج ، لطول عنقها ، قال العجاج :

كالحبشىِّ التـــفَّ او تسبَّجـــا   فى شَمْلةٍ أو ذات زف عوهجها

شَبَّه الظَّلِيم بحبشى لف على نفسه كساء .

وعن عَرَّام : يقال للناقة الفتية وللمرأة الفتية : عوهج .

هجع :

الهُجُوع : نوم الليل دون النهار . يقال لقيته بعد هجعة . وقوم هُجَّعٌ وهجوع وهاجعون . وامرأة هاجعة ونسوة هواجع وهاجعات . ورجل هُجَع أى : أحمق غافل سريع الاستنامة .

الهجْعَة – ومثلها الجَعَّةُ ، عن أبى سعيد – نبيذ الشعير والذرة ، وعن أبى عبيدة : نبيذ الشعير .

ملحوظات على هذا النموذج من معجم العين

١ – أن الخليل يقلِّب المادة على جميع وجوهها الممكنة ، ثم لا يكتب منها إلا المستعمل فقط ، فإذا كانت كل التقليبات مستعملة نبه عليها .

---

(١) العين ص ١١٣ .

٢ – أنه لم يعتمد على مؤلفات السابقين له فى استقراء اللغة وجمعها واستقصائها ، ولم يعتمد على مشافهة الرواة فقط ، وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية ، حيث اعتمد على طريقة التقليبات تلك ... واستعان بثقافته اللغوية الخصبة ، وبخبرته الصوتية الباهرة ، ومعرفته بالتجمعات الصوتية المسموح بها ، وغير المسموح بها فى اللغة العربية : فى تمييز المستعمل من المهمل[1] .

ولذلك نلحظ أنه ندر استشهاده بأقوال اللغويين والرواة العرب ، بخلاف ما فعله أصحاب المعاجم الأخرى ، ففى النموذج المذكور لم يذكر منهم سوى : عرام وأبى سعيد وأبى عبيدة .

٣ – أنه يكثر من الاستشهاد بأشعار العرب – جاهليهم وإسلاميهم – كما استشهد بالقرآن الكريم ، وبأقوال الرسول(صلى الله عليه وسلم) فى أماكن أخرى[2] .

٤ – أنه لم يسر على وتيرة واحدة فى تفسير المواد ، فمرة يبدأ بالمصدر ومرة بالاسم وأخرى بالفعل ، ويبدو أنه كان يسجل ما يأتى على خاطره دون ترتيب معين .

٥ – أن الألفاظ التى تحتاج إلى تشكيل : لم تشكل إلا بسن القلم ، مما يعرض كتابه للتصحيف .

دراسات حول معجم العين :

ونظرا لأهمية معجم العين ، ولما له من مكانة كبيرة عند اللغويين اللاحقين بالخليل بن أحمد : فقد دارت حوله دراسات متنوعة ، نتج عنها كتب كثيرة ، بعضها يكمل ناقصه ، وبعضها : ينقده ، وبعضها يدافع عنه ، وبعضها الآخر : يختصره .

---

(١) انظر : البحث اللغوى عند العرب – د . أحمد مختار عمر : ص ١٦٠ .

(٢) انظر : مادة : عقق ، ومادة : عزز .

فأهم الكتب التى أكملت ناقصه ، هى :[1] .

١ - كتاب الاستدراك على الخليل فى المهمل والمستعمل لأبى تراب (ت ٢٤٥هـ) .

٢ - كتاب ما أغفله الخليل فى كتاب العين ، وما ذكر أنه مهمل وهو مستعمل ، وما هو مستعمل وقد أهمل ، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الكِرْمانى النحوى الوراق (ت ٣٢٩ هـ) .

٣ - كتاب فائت العين لأبى عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز ، غلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ) .

٤ - كتاب التكملة لأبى حامد بن محمد البشتى الخارزنجى (ت ٣٤٨ هـ) .

٥ - كتاب الحصائل (أى تحصيل ما أغفله الخليل) لأبى الأزهر البخارى ، من أهل القرن الرابع الهجرى ، ومن معاصرى الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) .

٦ - كتاب المستدرك من الزيادة فى كتاب البارع لأبى على البغدادى على كتاب العين للخليل بن أحمد ، تأليف أبى بكر الزبيدى ، رواه عنه أبو بكر عبادة بن ماء السماء .

٧ - كتاب الاستدراك لما أغفله الخليل ، لأبى الفتح محمد بن جعفر الهمذانى المراغى (ت ٣٧١ هـ) .

٨ - الموعَب ، لابى غالب تمام بن غالب ، المعروف بابن التيانى (ت ٤٣٦ هـ) .

أما الكتب التى نقدته ، فأهمها[2] :

١ - كتاب الرد على الخليل ، وإصلاح ما فى كتاب العين من الغلط والمحال ، لأبى طالب المفضل بن سلمة الكوفى (ت ٣٠٨ هـ) .

---

(١) انظر : المعجم العربى : د . حسين نصار : ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٢) انظر المعجم العربى : ١ / ٣٠٢ .

٢ - كتاب الرد على الليث ، لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) .

٣ - كتاب استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين ، لأبى بكر محمد بن حسن الزبيدى الأندلسى (ت ٣٧٩ هـ) .

٤ - كتاب غلط العين ، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافى (ت ٤٢٠ هـ) .

والكتب التى دافع أصحابها عنه وحاولت إنصافه : من أهمها ما يلى[1] :

١ - كتاب التوسط لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) .

٢ - كتاب الرد على المفضل فى نقضه على الخليل ، لإبراهيم بن محمد نفطويه (ت ٣٢٣ هـ) .

٣ - كتاب الرد على المفضل فى الرد على الخليل ، لعبد الله بن جعفر بن دُرُستُويَه (ت ٣٤٧ هـ) .

٤ - رسالة الانتصار للخليل فيما رُد عليه فى العين لأبى بكر محمد بن حسن الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) .

أما الكتب التى اختصرت العين فأهمها اثنان :[2] .

١ - كتاب مختصر العين لأبى الحسن على بن القاسم السنجابى .

٢ - كتاب مختصر العين لأبى بكر محمد بن حسن الزبيدى ، (ت ٣٧٩ هـ) .

كلمة فى النهاية :

وعلى الرغم من كل ما وجه إلى معجم العين من نقد : فإننا لا نستطيع إلا أن نُزجِىَ خالص الشكر ، ونبدىَ غاية التبجيل لصاحبه : الخليل بن أحمد ، تلك

---

(١) انظر : المعجم العربى : ١ / ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٠٧ .

العبقرية العربية الفذة ، التى استطاعت أن تخرج هذا المعجم الجليل ، الذى أصبح مرجعا لكل المعجميين الذين جاءوا بعده ، سواء منهم من صرح بذلك أم لم يصرح . . فالجميع – على اختلاف مدارسهم – عالة على الخليل ، وإن اختلفوا عنه فى المنهج ، ومن ساروا فى طريق غير طريقه ، فهو الذى عَبَّد لهم هذا الطريق الوَعْر ، وأنار لهم جوانبه ، وذلَّل لهم نافره وجمع شارده . . فجزاه الله عن العربية خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة جزاء ما أعطى وما قدم لأبنائها .

تلاميذ مدرسة التقليبات الصوتية

انخرط فى سلك مدرسة التقليبات الصوتية تلاميذ كثيرون ساروا على نهج الخليل فى معجمه (العين) وساروا خلفه حذوك النعل بالنعل ، اللهم إلا بعض اصلاحات طفيفة فى التفاصيل والجزيئات[1] .

ومن أهم تلاميذ هذه المدرسة :[*]

١ – أبو على القالى صاحب (البارع فى اللغة)

وهو : أبو على إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون القالى ، ثم البغدادى . (٢٨٨ – ٣٥٦ هـ) تلميذ ابن دريد[٢] .

هدفه من تأليفه :

وقد رمى أبو على القالى فى معجمه هذا – كما يذهب بعض النقاد

---

(١) انظر : المعجم العربى : ٣٠٧/١ .

(*) انظر : المرجع السابق : نفسه.

(٢) انظر : إنباه الرواه للقفطى : ١ / ٢٠٤ – ٢٠٩ .

المعجميين[1] - إلى ما يأتي :

١ - تلافى النقص الذى رآه فى معجم العين ومعجـم أستاذه ابن دريد (جمهرة اللغة) .

٢ - نقل حركة المعاجم اللغوية التى ازدهرت فى المشـرق العربى إلى المغرب العربى بالأندلس ، حيث كان (البارع فى اللغة) أولَ مُؤلَّفٍ معجمى يُؤَلَّفُ فى الأندلس .

منهجـه[2] :

١ - على الرغم من التطور المعجمى الذى أدخله ابن دريد (أستاذ القالى) على المعاجم العربية ، حيث أحدث نظام التقليبات الهجائية بدلا من الصوتية ، إلا أن أبا على القالى رجع إلى نظام الخليل ، وهو نظام التقليبات الصوتية (على الرغم مـن صعوبتها على غير المتخصصين) .

٢ - لم يسر على نفس ترتيب الخليل لمخارج الحروف ، بل عـدل فيها بعض الشيء ، وذلك حيث رتبها على النحو التالى : هـ / ع / غ إلخ .

٣ - حاول إصلاح بعض الاضطراب فى أبواب العين ، وجـاءت الأبواب عنده ستة أبواب ، وهى - بالترتيب : أبواب الثنائى المضاعف (وكان يسميه باب الثنائى فى الخط والثلاثى فـى الحقيقة[3] - أبواب الثلاثى الصحيح - أبـواب الثلاثى المعتل - أبواب الحواشى أو الأوشاب - أبواب الرباعـى - أبواب الخماسى .

٤ - ملأ الأبواب بالتقاليب كما فى العين دون تغييـر يذكـر ، ثم ميز كل تقليب بكلمة : (مقلوبه) أو : (ومن مقلوبه)[4] .

ومع ذلك فإن بعض النقاد المعجميين يرون[5] أن « القالى أراد إصلاح بعض

---

(١) أنظر : المعجم العربى : ١ / ٣١٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) انظر : مصورة فولتون لقطع من كتاب البارع : بدار الكتب المصرية ص ١١٤ .

(٤) انظر : ص ٢ ، ٣ من المصورة السابقة الذكر .

(٥) د . حسين نصار - المعجم العربى : ١ / ٣١٩ .

وجوه النقص فى كتاب العين ، فغير فى منهجه بعض الأمور ، ولكنه حين أراد تطبيقها عمليا ، اضطرب وأخفق فى كثير منها » .

وصف (البارع) :

كان هذا الكتاب ذا حجم كبير ، إذ يقال : إنه كان يتألف من ٤٤٤٦ أو ٥٠٠٠ ورقة ، تنقسم إلى ١٦٤ جزءا[١] .

ويبدو أن كبر حجم هذا الكتاب كان سببا فى عدم قدرته على اختراق الزمان والمكان لكى يصل إلينا كاملا ، حيث لم تبق منه سوى « قِطَعٌ من حروف الهاء والغين والقاف والجيم والطاء والدال والتاء تتخللها خروم كثيرة »[٢] .

٢ - الأزهرى

صاحب تهذيب اللغة

وسوف أُفصل الأمر بالنسبة لهذا المعجم وصاحبه ، نظرا لأنه صاحب الموسوعة اللغوية الأولى التى بقيت تناطح الأحداث حتى وصلت إلينا كاملة غير منقوصة[٣] ، كما أنه « يعد من أوثق المعاجم اللغوية »[٤] .

أولا : الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ)

هو : أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهرى ، الهروى ، الشافعى[٥] .

---

(١) انظر إنباه الرواه للقفطى : ١ / ٢٠٦ .

(٢) انظر : المعجم العربى ١ / ٣١٧ ، ومصورة فولتون السابقة الذكر .

(٣) انظر : المعجم العربى : ١ / ٣٣٢ .

(٤) عبد السلام هارون - مقدمة تحقيق التهذيب : ص ١٦ - طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان - بتحقيق محمد محيى الدين : ٣ / ٤٥٨ .

وقد اشتهر بالأزهرى : نسبة إلى جده : الأزهر .

كما نسب إلى هراة : لأنه ولد بها سنة ٢٨٢ هـ[1] ، وهى مدينة عظيمة مشهورة من أمّهات مدن خراسان ، قال عنها ياقوت حين رآها :[1] « ولم أر بخراسان عند كونى بها فى سنة ٦٠٧ هـ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها . فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة ، محشوة بالعلماء ، ومملوّة بأهل الفضل والثراء » .

وعرف بالشافعى نسبة إلى مذهبه الفقهى الذى كان شديد الانتصار له ، وقد قال عنه صاحب طبقات الشافعية[2] : « كان إماما فى اللغة بصيرا بالفقه ، عارفا بالمذهب ، عالى الإسناد ، ثخين الورع ، كثير العبادة والمراقبة ، شديد الانتصار لألفاظ الشافعى متحريا فى دينه » .

حياته :

عاش فى هراة التى ولد فيها ، وتعلم على يد علمائها ، ولما وصل إلى سن الشباب عزم على السفر إلى مكة ليؤدى فريضة الحج ، وفى أثناء عودته منها سنة ٣١٢ هـ ووقع فى أسْرِ القرامطة[3] الذين اعترضوا الحجيج بقيادة أبى طاهر الحسين بن أبى سعيد الجَنابى (الذى كان سِنُّهُ إذْ ذاك : سبع عشرة سنة) فأعملوا القتل والسلب والنهب والأسر فى هؤلاء الحجيج .

وكان الأزهرى ضمن الأسرى ، وقد سجل هذه الحادثة فى مقدمة تهذيب اللغة حيث قال :[4] .

---

(١) معجم البلدان : ٨ / ٤٥١ ط مطبعة السعادة بمصر .

(٢) وهو السبكى : ج ٣ / ٦٤ بتحقيق محمود الطناحى وآخر – ط عيسى الحلبى بمصر .

(٣) القرامطة : نسبة إلى قِرْمِط ، وهو أبو سعيد الحسن الجَنَّابِى (نسبة إلى جَنَّابة من سواحل بحر فارس) ذلك الذى أظهر مذهب القرامطة المذموم سنة ٢٨١ هـ وفى خلافة المعتضد – انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان : ٣ /٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٤) تهذيب اللغة : ١ / ٧ .

وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير[1] وكان القوم الذين وقعت فـي سهمهم عربا ، عامتهم من هوازن واختلط بهم أصرام[2] من تميم وأسد بالهبير ، نشئوا بالبادية يتبعون مساقط الغيث أيـام النَّجَع[3] ، ويرجعون إلى أعـداد المياه[4] ، ويرعون النعم ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية ، وقرائحهم التى اعتادوها ، ولا يكاد يقع فى منطقهم[5] لحن أو خطأ فاحش فبقيتُ فـي إسارهم دهرا طويلا .

وكنا نَتَشَتَّى الدَّهْناء[6] ونتربع الصَّمَّان[7] ونتقيـظ السَّتَارَيْن[8] .

واستفدت من مخاطباتهم ، ومحاورة بعضهم بعضا ألفاظا جمة . ونوادر كثيرة ، أوقعت أكثرها فى مواقعها من الكتاب » .

ونلحظ من ذلك : أن الأزهرى استفاد من الأسر استفادة جليلة وخاصة فى محيط اللغة ، ولهجة الخطاب ، والثروة اللفظية والنوادر التى لم يكن قد اطلع عليها فى كتب اللغة الأخرى .

---

(١) الهبير : رمل زرود فى طريق مكة – معجم البلدان : ٨ / ٤٤٤ .

(٢) أى جماعات .

(٣) أى : أيام طلب الكلأ فى مواضعه .

(٤) أى : آبار المياه التى يعرفونها ويستوطنون حولها .

(٥) أى : فى كلامهم .

(٦) موضع ببلاد تميم ، قليل الماء ، كثير الكلأ ، ليس فى بلاد العرب مَرْبَع مثلها – انظر : معجم البلدان : ٤ / ١١٥ .

(٧) الصمان : متاخم للدهناء ومثلها فى العشب – وقد قضى فيهـا الأزهرى شتوتين أيام كان أسيرا – اللسـان : صمم .

(٨) هما واديان فى ديار بنى سعد ، وفيهما عيون فوارة تسقى نخيلا كثيرا – اللسان : ستر .

ورب ضارة نافعة – كما يقولون – فقد أوقعه حظه فى إسار مجموعة من العرب الخُلَّص ، الذين لم يكونوا قد اختلطوا بالأعاجم ، ولذلك وجدهم يتكلمون حسب طبيعتهم البدوية ، التى بعدت عن اللحن ، الذى كان فاشيا عند غيرهم فى ذلك الوقت ، فاستفاد من التخاطب معهم ومن تخاطبهم مع بعضهم ، كما حفظ كثيرا من ألفاظهم ونوادرهم الجديدة بالنسبة له .

كما نلمح من مقالته تلك أنه مكث لدى هؤلاء القوم دهرا طويلا ، بدليل أنه مرت عليه فصول السنة وهو معهم ينتقل من أماكن الشتاء إلى أماكن الصيف ، إلى مساقط المطر حيث المرعى .

وعندما تخلص من الأسر لم يذهب إلى هَراةَ مباشرة ، وإنما ذهب إلى بغداد ليستكمل العلم بما فَتَنَه من ألفاظ العربية ، وذخيرتها الغفيرة ، وكنوزها العديدة . .

فتلمذ بيغداد على : نفطويه (ت ٣٢٣ هـ) وابن السَّرَّاج (ت ٣١٦ هـ) والبغوى (ت ٣١٧هـ) وغيرهم من مشاهير علماء اللغة .

ولم يمكث ببغداد طويلا فما لبث أن عاد إلى هراة – مسقط رأسه – فاشتغل فيها بالفقه على مذهب الإمام الشافعى ، ثم أكمل دراسته فى اللغة على مشايخ بلده[1] .

وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ :[2] .

١ – أبو الفضل محمد بن أبى جعفر المنذرى الهروى (ت ٣٢٩ هـ) .
٢ – أبو محمد المُزنى (أحمد بن عبد الله – ت ٣٦١ هـ) .
٣ – أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى (الذى تلمذ عليه فى بغداد أيضا) .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٥٨ .
(٢) انظر : تهذيب اللغة – مقدمة المحقق : ص ٩ ، ١٠ .

٤ – أبو بكر بن عثمان .
٥ – أبو محمد عبد الله بن محمد بن هاجك .
٦ – أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب البغوى .

وقد ذكر هؤلاء الشيوخ فى كتابه (تهذيب اللغة) .

تلاميذه :

حين ألف كتابه تهذيب اللغة ، ذاع صيته وأقبل عليه طـلاب الدراسات اللغوية ليقرأوا عليه هذا الكتاب فى هَراةَ ومنهم :

١ – أبو عبيد الهروى (ت ٤٠١ هـ) صاحب : كتاب الغريبيـن (غريب القرآن وغريب الحديث) .
٢ – ابو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدى الهروى (توفـى سنة ٣٩٩ هـ) وغيرهما كثير[١] .

وفاته :

توفى سنة ٣٧٠ هـ بهَراةَ التى وُلد بها[٢] .

ثانيا : معجم تهذيب اللغة

ألَّف الازهرى كتبا كثيرة فى اللغة والتفسير والحديث[٣] ، ولكن كتابه تهذيب اللغة كان فى قمة تآليفه[٤] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة – مقدمة المحقق : ١ / ١٠ – ١٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢ .
(٣) انظر تفصيل هذه الكتب فى مقدمة محقق التهذيب : ص ١٣ – ١٥ .
(٤) انظر : المرجع السابق : ص ١٣ .

لِمَ سَمَّاه الأزهرى : تهذيب اللغة ؟

سماه بهذا الاسم لأنه قصد إلى : نفى ما أدخل فى لغات العرب من الألفاظ التى أزالها الجهلاء عن صيغتها ؛ وذلك كما يقول : « فهذبت ما جمعت فى كتابى من التصحيف والخطأ بقدر علمى ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقات إلى العرب »[1] .

ولذلك فإنه لم يودع كتابه هذا إلا ما صح له « سماعا منهم ، أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن ذى معرفة ثاقبة اقترنت إليها »[2] معرفته .

ومن أجل ذلك أيضا : فقد حذف كثيرا من المواد والشواهد الموجودة فى كتب غيره لعدم ثقته فى صحتها .[3] .

غرضه من تأليف الكتاب :

١ - كان غرضه الأول من تأليف هذا الكتاب : الاستعانة به على معرفة معانى القرآن الكريم ، وألفاظ السنة النبوية ، وهذا ما دعاه - كما يقول - : إلى « تقييد نكت حفظتها ، ووعيتها ، عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سُنَيًّا ، إذ كان ما أثبته كثير من أئمة أهل اللغة فى الكتب التى ألفوها والنوادر التى جمعوها : لا ينوب مناب المشاهدة ، ولا يقوم مقام الدُّربَةِ والعادة »[4] .

٢ - الغرض الثانى : « النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين فى إفادتهم ما لعلهم يحتاجون إليه »[5] .

---

(١) : مقدمة التهذيب : ١ / ٥٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٠ .

(٣) انظر : السابق - نفسه .

(٤) المرجع السابق : ص ٦ .

(٥) انظر : المرجع السابق .

٣ - التنبيه على التصحيف والتحريف الذى دخل كتب السابقين عليه مما لا يتنبه له أهل جيله[1] .

متى ألفه ؟

يفهم من مقدمته أنه ألفه بعد بلوغه السبعين من عمره ، أى فى نحو سنة ٣٥٢ هـ[2] .

قيمة التهذيب : مما لا شك فيه أنه[3] :

لا يعرف قدر هذا الكتاب حق المعرفة إلا من نظر فيه طويلا وتتبع منهجه الوثيق فى تفسير اللغة والأمانة الصادقة التى كان يستشعرها وهو يصنع كتابه . . . . . . وفضلا عن القدر الهائل من المادة اللغوية التى يحويها ، - محاولا بها تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوى ، وأشعار العرب وأمثالها - :

نجد له خاصة ظاهرة ، هى عنايته بالناحية البلدانية ، التى استوعب بها : التعريف بالكثير من بلدان الجزيرة العربية ، وهو اتجاه مبكر على نطاق واسع فى التأليف المعجمى ، بلغ ذروته فيما بعد ، فيما صنع الفيروزبادى » فى معجمه : القاموس المحيط .

وكذا عنايته الخاصة بشرح الأحاديث النبوية التى فاتت أبا عبيد والقتيبى (ابن قتيبة) والخطابى .

ويكفى أن نذكر أن صاحب لسان العرب اعتمد عليه

---

(١) انظر : مقدمة محقق التهذيب : ص ٢٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

اعتمادا كاملا ، وجعله فى قمة مصادره . واستطيع أن أقول : إن صاحب اللسان قد أفرغ معظم الكتاب فى تضاعيف معجمه ، فندر أن تجد نصا للأزهرى لم ينقله ابن منظور[1] .

وفى ذلك يقول صاحب اللسان فى مقدمته[2] :

ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى . ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده الأندلسى ، رحمهما الله ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق .

حجم التهذيب :

يقع التهذيب فى ثلاثة عشر جزءا ، محققة ومراجعة بأيدى نخبة من اللغويين الذين وفرتهم المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بمصر على القيام بهذا العمل ، ليخرج إلى القراء فى ثوب قشيب ، وليحقق الغرض الذى إليه قصد صاحبه .

وقد كان كبر حجمه هذا سببا فى عزوف كثيرين عن دراسته وتعقبه ونقده[3] .

منهجه فى ترتيب مواد اللغة :

جرى كتاب التهذيب على نفس النمط الذى جرى عليه العين للخليل بن أحمد :

١ - فالتزم ترتيب المخارج الذى ابتكره الخليل ، ولذلك يقول الأزهرى فى

---

(١) مقدمة محقق التهذيب .

(٢) اللسان : ١ / خ - ط دار لسان العرب بيروت - إعداد : يوسف خياط .

(٣) المعجم العربى : ١ / ٣٥٧ .

مقدمته :[1] .

وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليلَ فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه » .

٢ – وقسم معجمه إلى حروف بدأها بحرف العين[2] .

٣ – وقسم كل حرف إلى ستة أبواب : الثنائى المضاعف – والثلاثى الصحيح – والثلاثى المعتل – واللفيف – والرباعى – والخماسى .

٤ – قلّب كل مادة على جميع وجوهها .

٥ – ونبه على المستعمل منها فشرحه ، وترك المهمل .

طريقة الكشف فى هذا المعجم :

هى نفس الطريقة التى تكشف بها فى معجم العين ، وقد وضحتها سابقا[3] فأغنى ذلك عن ذكرها هنا .

مراجع التهذيب :

أغنانا الأزهرى عن التطواف حول مراجعه للوقوف عليها ، وذلك بأن وضح لنا فى مقدمته – الضافية الطويلة التى تعالج موضوعات متنوعة – ما اعتمد عليه من الكتب ، ومن اعتمد عليهم من المؤلفين واللغويين الذين سبقوه أو عاصروه ، وذلك تحت عنوان : « باب ذكر الأئمة الذين اعتمادى عليهم فيما جمعت فى هذا الكتاب »[4] ، ثم يقسمهم إلى طبقات ثلاث غير من عاصروه ، ويتحدث عما أخذ من كل منهم ، ومكانته اللغوية إلى غير ذلك[5] .

---

(١) التهذيب : ١ / ٤١ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٥٥ .

(٣) انظر : ص ٩٢ من هذا الكتاب .

(٤) مقدمة التهذيب : ص ٨ .

(٥) انظر : المرجع السابق : ص ٨ – ٤٣ .

نموذج من معجم التهذيب :

سوف أذكر نموذجا مطابقا لمادة من النموذج الذى أخذته من معجم العين ، ليتسنى لنا المقارنة بينهما من حيث طريقة التناول والمادة اللغوية الموجودة فى كل منهما :

من حرف العين – باب المضاعف

(باب العين والذال)

استعمل من وجهيه :

(ذ ع) :

قال الليث : الذَّعْذَعَةُ : التفريق .

قلت : وأصله من باب ذاع يذيع وأذعته أنا ، فنقل إلى المكرر المضاعف ، كما يقال : نخنخ بعيره فتنخنخ من الإناخة .

ويقال : ذَعْذَع فلان ماله ، إذا بذَّره . وذعذعت الريح التراب إذا فرقته وذرته وسَفَتْه ، كل ذلك معناه واحد . وقال النابغة :

غَشِيتَ لَهَا مَنَازِلَ مُقْوِيسات تُذَعِذُعُهـا مُذَعْذِعَـةٌ حَنُـونُ

ورجل ذَعذاع ، إذا كان مِذْيَاعا للسر ، نماما لا يكتم سرا .

وتذعذع شَعْرُه ، إذا تشعَّث وتمرَّط .

وقال بعضهم : رجل مُذَعْذَع ، إذا كان دَعِيًّا .

قلت : ولم يصح لى هذا الحرف من جهة من يوثق به والمعروف بهذا المعنى : رجل مدغدغ .

وقرأت بخط أبى الهيثم :

وعذاريكم مقلصة فى ذَعَاعِ النَّخْلِ تَجْتَرِمُه

قال أبو الهيثم : الرواية « فى دعاع النخل » . قال : ودعاع تصحيف . قال : والدَّعَاع : الفِرقُ ، واحدتها : دَعاعة . قال : والدُّعاع : النَّخْل المتفرق . قال : ويقال : الدُّعاع : ما بين النخلتين ، بضم الدال .

ونلحظ على هذا النموذج القصير ما يلى :

١ – أن مادة التهذيب واسعة ، ولا عجب فى ذلك ، فقد وضع الأزهرى أمامه معاجم اللغة السابقة عليه ، والرسائل اللغوية الكثيرة التى أفاد منها – كما قال فى مقدمته ، وأخذ يغترف من هذه ومن تلك حتى ارتوى .

٢ – أنه ينسب الأقوال إلى أصحابها إن علمهم ، وإن لم يعرفهم قال : (قال بعضهم) ، أو : (ويقال) .

٣ – أخذ من العين ما صح عنده ونسبه إلى الليث تحت قوله : قال الليث .

٤ – يتدخل برأيه فيصحح ما صحف حيث قال : « قلت : ولم يصح لى هذا الحرف من جهة من يوثق به » ثم يذكر الصحيح وهذا يدل على بروز شخصيته .

٥ – استشهد بما يمكن الاستشهاد به ، والبيت الذى استشهد به أخذه من معجم العين .

الجديد الذى أتى به الأزهرى فى التهذيب :

لم يكن هناك جديد يذكر من ناحية المنهج ، إنما الجديد كان فى زيادة المواد :

١ – « إذ زاد على مادة العين والجمهرة كثيرا من المواد والمعانى بل الأقوال التى تفسر لفظا واحدًا ، ذا معان متقاربة – وربما واحدة – وصدرت من لغويين مختلفين »[1] .

٢ – كما « فحص ألفاظه فحصا شديدا ، ونقد ألفاظ سابقيه ، فصحح كثيرا من مفردات اللغة »[1] .

---

(١) المعجم العربى – د . نصار : ١ / ٣٥٨ .

٣ – احتفاله « بالشواهد القرآنية والحديثية الكثيرة التى أدخلها فى معجمه ، فأصبحت من التراث المعجمى[٣] ، ولا عجب فى ذلك فقد كان من أهداف المؤلف ربط القرآن الكريـم والدين باللغة .

ما يؤخذ عليه :

١ – أهم ما يؤخذ على معجم التهذيب : هو ما يمكن أن يؤخذ على مدرسة التقليبات الصوتية بأكملها ، ألا وهو صعوبة البحـث فيها ، والاحتياج إلى مهارة صوتية وصرفية ؛ حتى يمكن للباحث أن يجوس خلالها .

٢ – هذا بالاضافة إلى التكرار نتيجة لجمعه عن السابقين ، حيـث كان يورد أكثر من قول للمعنى الواحد دون زيادة فى كل منها .

٣ – والتعصب – فى بعض الأحيان – لما يقوله ، حتى ولو خالـف أقوال جمهور من العلماء ، وقد كان ذلك لهوى فى نفسه[١] .

***

(١) المعجم العربى – د. نصار : ٢٥٧/١ .

٣ - معجم (المحيط)

للصاحب بن عباد (٣٢٤ - ٣٨٥ هـ)

وهذا المعجم سار فيه ابن عباد (أبو القاسم إسماعيل بن عباد الوزير الأديب المشهور) على نفس النهج الذى سار عليه الخليل والأزهرى ، فى ترتيب الحروف ، ونظام التقاليب الصوتية ، ولكنه اتبع الأزهرى فى ترتيب الأبواب .

ويوجد من هذا المعجم جزء يسير يقال إنه الجزء الثالث - فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٢ لغة) .

ومن ترجموا للصاحب بن عباد : لم يُعْنوا بهذا المعجم ولم يَصِفُوه لنا وصفا كاملا ؛ لعنايتهم ، بموهبته الأدبية التى كانت أساس شهرته[١] .

خصائص هذا المعجم :

١ - الاختصار فى تفسير الألفاظ اللغوية ، حيث كان يعتمد على تفسير واحد للَّفظِ لا يتعداه إلى غيره ، ولا يذكر أحدًا من اللغويين الذين أخَذ عنهم ، اللهم إلا الخارزنجى (أحمد بن محمد البشتى - ت ٣٤٨ هـ) الذى كان ينقده أحيانا ويأخذ منه أحيانا أخرى .

كما كان يقلل من الشواهد ما عدا النادر منها .

٢ - انفراده بألفاظ وصيغ ومعان لم يذكرها أحد قبلـه ، مما جعل معجمه يتضخم على الرغم من اختصاره .

ويبدو أن هذه الزيادات كانت من عند ابن عباد ، نتيجة اطلاعه على الجم الغفير من كتب اللغة .

٣ - اهتمامه بالعبارات المجازية ، ويبدو أن هذا قد انعكس عليه من موهبته الأدبية.

---

(١) انظر : المعجم العربى - د . نصار : ١ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

الذائعة الصيت[1] .

مآخذه :

أما أهم المآخذ التى أخذت عليه فهى :

١ – تقليله الشواهد ، خاصة تلك التى كان معجمه فى أَمَسِّ الحاجة إليها ، وهى شواهد الألفاظ والمعانى والصيغ الجديدة التى ذكرها فى معجمه ولم يُجْمِع عليها اللغويون من قبله .

٢ – إهماله ذكر المراجع وأسماء اللغويين الذين رجع إليهم ، وأخذ عنهم تلك الألفاظ الجديدة .

٣ – اضطراب بعض المواد عنده ، حيث عدها من الرباعى والخماسى ، ووضعها فى كلا النوعين[2] .

مكانته بين المعاجم :

لم يُضِفْ إليها جديدا ، اللهم إلا الألفاظ الجديدة التى زادها ، ولذا كان هذا المعجم بمثابة استدراك على المعاجم السابقة .

ولذلك – أيضا – لم تقم حوله دراسات تذكر ، إلا أن الصاغانى (ت سنة ٦٥٠ هـ) قد استفاد منه كثيرا فى معجمه (العُبَاب) .

٤ – معجم : المحكم والمحيط الأعظم

لابن سِيدَه (٣٩٨ – ٤٥٨ هـ)

مؤلفه : هو على بن إسماعيل بن سيده ، الذى ألف المخصص .

---

(١) انظر : المعجم العربى ١ / ٣٦٧ – ٣٧٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٣٧٠ .

لمن ألفه ؟ وقد ألفه بناء على أمر من : مجاهد بن عبد الله العامرى – أحد حكام الأندلس (ت ٤٣٦ هـ) والذى كان على علم وبَصَرٍ بالعربية ، وكان يأتيه العلماء من كل صقع ، ومنهم أبو عمرو الدانى (ت ٤٤٤ هـ) القارىء المشهور ، وصاحب التصانيف الكثيرة فى القراءات القرآنية .

منهجـه :

التزم ابن سيده – فى معجمه هذا – منهج الخليل من ناحية التقليبات الصوتية ، على الرغم من وجود مدارس أخرى معجمية ، اتخذت طرقا أيسر من طريقة الخليل .

وقد استفاد ابن سيده من كل التعديلات التى حدثت فى طريقة الخليل بعد وفاته ، والتى بلغت قمتها فى مختصر العين للزبيدى .

ولذلك قسم كتابه إلى حروف بدأها بحرف العين (كما بـدأ الخليل) ثم قسم هذه الحروف إلى أبواب هى :

١ – باب الثنائى المضاعف الصحيح ، مثل : عق ومقلوبها : ق ع ... إلخ .
٢ – باب الثلاثى الصحيح ، مثل : عهق ، هعع . . الخ .
٣ – باب الثنائى المضاعف ، مثل : رصرص .
٤ – باب الثلاثى المعتل مثل : عال .
٥ – باب اللفيف ، مثل : عوى ، وعى . . إلخ .
٦ – باب الرباعى ، مثل : هبقع .
٧ – باب الخماسى ، مثل : الخُزَعبل .

وقد زاد ابن سيده على هذا التقسيم بابا ذكره فى مواضع قليلة نادرة ودعاه مرة بالسداسى ، وأخرى : الملحق بالسداسى ، ووضع فيه ألفاظا أعجمية وأسماء أصوات .

وقد خالف – فى ذلك – الصرفيين الذين يرون أنه لا توجـد ألفاظ سداسية

الأصل ، وأن الألفاظ الأعجمية لا يصح وزنها ، لأن الوزن خاص بالعربية[1] .

هدفه من تأليف هذا المعجم :

كان هدفه من تأليف معجمه هذا : « يختلف عن هدف الخليل والأزهرى ، إذ رمى إلى جمع المشتت من المواد اللغوية فى الكتب والرسائل ، فى كتاب واحد يغنى عنها جميعها ، بالإضافة إلى دقة التعبير عن معانيها ، وتصحيح ما فيها من آراء نحوية خاطئة ، ولكنه اتفق مع الأزهرى فى ربطه اللغة بالقرآن والحديث »[2] .

مكانته بين المعاجم :

خطا (المحكم) بمنهج المعاجم خطوة إلى الأمام ، وهى محاولة تنظيم داخل المواد ولكنه فيما عدا ذلك كان متأخرا عن المعاجم المشرقية .

فقد سار فى ترتيبه على نهج الخليل والزبيدى وكان المشارقة قد وصلوا إلى ترتيب آخر أسهل هو ترتيب الجوهرى .

واعتمد فى مواده على الخليل ، وابن دريد والقالى ، وبعض أصحاب الرسائل الأخرى ، وكان المشارقة قد وصلوا منذ القرن الرابع إلى الموسوعات الكبيرة مثل : التهذيب والمحيط ، بل نقد بعضهم مواد الخليل وابن دريد نقدا مرا ، مثل : الأزهرى وابن فارس .

وإذن : فما قدمه ابن سيده لحركة المعاجم : هو محاولة

---

(1) انظر : مقدمة محققى المحكم : مصطفى السقا ود . حسين نصار ص ١٦ ط الحلبى سنة ١٩٥٨م .

(2) د . حسين نصار – المعجم العربى : ١ / ٣٧٢ .

تنظيم داخل المواد وحده / وتهذيب ترتيب الخليل ؛ باتباع مختصر كتابه للزبيدى / واعتماده على بارع القالى الذى فُقِد ولم يَرَه كثير من المشارقة / واعتماده على علمى الصرف والنحو فى كثير من أحكامه[1] .

أهم المآخذ على مدرسة التقليبات الصوتية

أهم المآخذ التى أخذت على تلك المدرسة هو : صعوبة البحث فيها ، واستنفاد الوقت الطويل قبل الوصول إلى المأرب منها . .

وهذا ما حدا بابن دريد : إلى أن يخالف المنهج الذى سارت عليه باتباعه التقليبات الهجائية .

وهذا ما سوف نلقى عليه الضوء فى معجمه : جمهرة اللغة .

***

(١) المعجم العربى : ١/٣٩١ .

الفصل الثانى
مدرسة التقلبيات الهجائية
جمهرة اللغة لابن دريد
(٢٢٣ - ٣٢١هـ)

يعد ابن دريد صاحب اتجاه معجمي خاص ، في دنيا المعاجم العربية ، وهو ما يعرف باسم : التقلبيات الهجائية .

وقبل أن نخوض في غمار هذا الاتجاه - لنتعرفَ عليه - ينبغي أن نتعرفَ على ابن دريد ، ومعجمه ، حتى نقف على هذا الاتجاه الخاص ، وكيف كان ؟

ابن دريد : من هو ؟(*) .

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدى ، من أزد عمان ، من قحطان .

ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين (٢٢٣هـ) ونشأ بها وتعلم فيها .

أخذ عن أبي حاتم السجستانى ، والرياشي ، وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعى ، وأبي عثمان سعيد بن هرون الأشناندانى ، وغيرهم .

ثم انتقل عن البصرة إلى عُمان مع عمّه الحُسين . عند ظهور الزنج ، وأقام

(*) انظر في ترجمة ابن دريد : وفيات الأعيان لابن خلكان - بتحقيق محمد محيى الدين : ٣ / ٤٤٨ - ٤٥٣ط مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨ ، معجم الأدباء لياقوت الحموى : ١٨ / ١٢٧ - ١٤٣ نشر دار المأمون ، الأعلام للزركلى : ٦ / ٣١٠ط ٢ .

بعُمان اثنتى عشرة سنة ، ثم عاد إلى البصرة وسكنها زمنا .

ثم خرج إلى نواحى فارس فأقام بها فى عصر ابنْى مِيكالَ ، الذين كانا يتوليان الحكم فيها ، وعمل لهما كتاب الجمهرة ، وقلداه ديوان فارس ، وكان لا ينفذ كتاب من هذا الديوان إلا برأيه وتوقيعه ، وقد أفاد من ابنى ميكال أموالا عظيمة إلا أنه كان سخيا كريما لا يمسك درهما .

ثم انتقل من فارس إلى بغداد – بعد عزل ابنى ميكال وانتقالهما إلى خراسان – فأنزله علىُّ بن محمد بن الحوارى فى جواره ، وأفضل عليه ، ثم اتصل بالمقتدر العباسى ، وأجرى عليه خمسون دينارا فى كل شهر ، ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته سنة ٣٢١هـ .

مكانته العلمية :

كان واسع الرواية ، لم يُرَ أحفظ منه ، وكانت تُقرأ عليه دواوين العرب ، فَيُسَابق إلى إتمامها من حفظه ، ولذلك قيل : ابن دريد أشعر العلماء ، وأعلم الشعراء .

وقد أخبر عنه تلميذه أبو على القالى : أنه على الرغم من مرضه الشديد فى أواخر حياته – بعد التسعين من عمره – : فقد كان ثابت الذهن ، كامل العقل ، يَرُدّ فيما يُسأل عنه ردًّا صحيحا ، بل وبأسرع من النَّفَسِ !

ثم قال أبو على القالى : وقال لى مرة – وقد سألته عن بيت شعر – لئن طفئت شحمتا عينى لم تجد من يشفيك من العلم .

كتبه :

وله من الكتب والتصانيف المشهورة – غير الجمهرة – :

١ – كتاب الاشتقاق – مطبوع
٢ – كتاب صفة السرج واللجام – مطبوع
٣ – كتاب الخيل الكبير

٤ – كتاب الخيل الصغير

٥ – كتاب ذخائر الحكمة – مخطوط

٦ – كتاب الأنواء

٧ – كتاب الملاحن – مطبوع

٨ – كتاب السحاب والغيث – مطبوع

٩ – كتاب المجتبى – مطبوع

١٠ – كتاب المقتبس

١١ – كتاب اللغات

١٢ – كتاب رواد العرب[١] .

١٣ – كتاب السلاح

وغيرها من الكتب .

جمهرة اللغة :

أما أهم هذه الكتب فهو كتابه : جمهرة اللغة الذى طبع فى ثلاث مجلدات ، وأضاف إليه المستشرق كرنكو مجلدا رابعا للفهارس ، خدم به الكتاب خدمة جليلة .

لِمَ سُمِّىَ الكتاب بهذا الاسم ؟

لأن صاحبه ملأه بجمهور كلام العرب المشهور المتداول ، وترك الكلام الوحشى المستنكر ، حيث قال[٢] : « وإنما أعرناه هذا الاسم : لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشى والمستنكر » .

---

(١) ذكر ذلك : د . عبد السميع محمد أحمد فى كتابه : المعاجم العربية – الكتاب الأول : ص ٥١ ، وقد ذكرت المراجع الأخرى السابقة الذكر أنه : زوار العرب .

(٢) مقدمة جمهرة اللغة : ١ / ٤ط حيدر آباد بالهند ١٣٤٤هـ .

لِمَ أُلِّف هذا الكتاب ؟

أُلِّف هذا الكتاب لمَّا لاحظ صعوبة المنهج الذى سار عليه الخليل - فى معجم العين - وأتباع مدرسته ، خاصة وأن الناس فى عصره قد فشى فيهم الجهل إلا قلة منهم ، فأراد أن يذلل صعوبة معجم العين ، فألف هذا المعجم .

ولذلك نجده يقول فى مقدمته[1] : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى . . . كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنَّى من سما إلى نهايته » .

ثم علل سبب ذلك بقوله[2] : « ولكنه - رحمه الله - ألف كتابا مشكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته وحِدَّة أذهان أهل دهره » .

وأملينا هذا الكتاب والنقص فى الناس فاش ، والعجز لهم شامل إلا خصائص كدراريِّ النجوم فى أطراف الأفق ، فسهَّلْنا وعره ، ووطَّأْنا شَأْزَه[3] ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت بالقلوب أعلق ، وفى الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة » .

منهجه فى ترتيب مواده :

أولا : اتفق ابن دريد مع باقى أصحاب المعاجم فى : تجريد الكلمة من زوائدها ، ورد المقلوب إلى أصله ورد المحذوف إلى مكانه .

ثانيا : قسم هذه الألفاظ المجردة حسب أبنيتها إلى سبعة عشر بابا على التفصيل ، وستة أبواب على الإجمال[4] ، وبيانها كالتالى :

---

(١) مقدمة الجمهرة : ص ٣ .

(٢) : السابق - نفسه .

(٣) الشأز هو الغليظ الشديد .

(٤) المعاجم العربية - د . عبد السميع محمد : ص ٥٨ ، ٥٩ ، المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد - د . عبد المنعم عبد الله ، د . أحمد طه : ص ٧٩ .

أولا – أبواب الثنائى :

١ – الثنائى الصحيح ، وهو ما ضعف فيه الحرف الثانى ، مثل أبب ، أزز .

٢ – الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر ، وهو ما ضعف فيه الحرفان مثل : بتبت ، زلزل .

٣ – الثنائى المعتل وما تشعب منه ، وذلك ببناء الحرف الصحيح مع أحد حروف العلة (الهمزة والواو والياء) مثل : باء ، نوى .

ثانيا – أبواب الثلاثى :

١ – الثلاثى الصحيح وما تشعب منه ، مثل : ب ث ج .

٢ – الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى أى موضع ، مثل : ب ت ت .

٣ – الثلاثى عين الفعل منه أحد حروف اللين ، مثل : بـاب

٤ – الثلاثى المعتل وهو ما كان آخره حرفا من حروف العلة ، مثل ب ت و ، ب ت ا ، ب ت ى

٥ – باب النوادر فى الهمز وهو مما ألحق بأبواب الثلاثى ، مثل أنت ، كلأ .

٦ – باب اللفيف فى الهمز ، مثل : وزأ الإناء : ملأه ، ومنه ما جاء من المقصور مهموزا ، مثل : الرشأ ، والفرأ .

ثالثا – أبواب الرباعى :

١ – الرباعى الصحيح مثل : جَعْتَب (حرص) .

٢ – الرباعى جاء فيه حرفان مثلان مثل : دَرْدَق .

٣ – الرباعى جاء على أوزان : فِعَلّ كعِكَبٌ ، أو فِعِل كسِجِل أو فُعُل كعُتُل .

٤ – ما يلحق بالرباعى مما جاء على أوزان أخرى ، مثل : كوكب ويَنْطَر وضَنْبطَر .

***

رابعا : أبواب الخماسي :

وهو الملحق بالرباعي بحروف زائدة ، ولذلك ابتدأه بقوله[1] : (من الزوائد) ، ولم ينبه على أنه من باب الخماسي إلا في نهاية الباب حيث قال : هذا آخر أبنية الخماسي[2] .

خامسا : أبواب السداسي :

وهو الملحق بالخماسي بحروف زائدة ، وإن كان لم يصرح بهذه التسمية وإنما عبر عنها بقوله : « هذه أبواب ألحقت بالخماسي بالزوائد التي فيها ، وإن كان الأصل غير ذلك »[3] ثم قال[3] : « (باب ما جاء على مُفْعَنْلِل ومُفْعَلَّل) : (المسحنكك) الأسود » .

سادسا : أبواب اللفيف :

وقد قال عنها :[4] « وإنما سميناه لفيفا ؛ لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض » أي : ليست كما يذهب الصرفيون من أن اللفيف ما كان فيه حرفا علة مجتمعان أو متفرقان ، ولذلك قال بعدها : (باب ما جاء على فِعِّيلَى) .

(خِطِّيبى) وهي المرأة التي يخطبها الرجل . . .
و(حِجِّيزَى) . . . و(خِلِّيفَى) . . . و(قِتِّيتَى)
وهذا كله ليس من اللفيف الصرفي المتعارف عليه .

ثم أضاف إلى ما سبق أبوابا متفرقة من النوادر :

جمع فيها نوادر متنوعة ، بدأها بقوله : (باب من النوادر)[5] :

---

(١) الجمهرة : ٣ /٣٦٩ .
(٢) السابق : ص ٣٩٩ .
(٣) المرجع السابق : نفسه .
(٤) السابق : ص ٤٠٦ .
(٥) السابق : ١ /٤٤٩ .

قال أبو بكر : تقول العرب : يفسِقُون ويفسُقون ويعرِشُون ويعرُشون ويحسِدُون ويحسُدون الخ .

وبعد ذلك يأتى بباب آخر من النوادر – هو : (باب من نوادر ما جاء فى القوس وصفاتها عن أبى عبيدة معمر بن المثنى)[1] .

ثم (باب ما جاء من النوادر فى صفة النصال)[2] .

ثم (باب من النوادر فى صفة النعل)[3] .

ثم (باب آخر من النوادر)[3] . . إلى آخر ذلك من النوادر التى ليس لها ضابط معين .

ثالثا : رتب ابن دريد المواد الواقعة فى كل باب بحسب ترتيب حروف الهجاء ، فبدأ بحرف الهمزة ، ثم بالباء ، ثم بالتاء ، وهكذا إلى حرف الياء ، مراعيا أولها وثانيها وثالثها .

ففى حرف العين من الثلاثى الصحيح يقول – مثلا – (باب العين والقاف مع باقى الحروف)[4] ، ثم يأتى بالمواد داخل الباب ، مرتبة حسب الحرف الأول والثانى والثالث ، حيث يأتى بمواد : ع ق ك ثم ع ق ل ، ثم ع ق م ثم ع ق ن ، ع ق و ، ع ق هـ ، ع ق ى .

رابعا : قلَّب كل مادة على وجوهها المختلفة ، وما كان منها مهملا نبه عليه ، وما كان مستعملا فسر معناه .

ففى هذا الباب الذى أوردت مواده تجده يقول : (ع ق ك) : مهمل ، ثم يأتى بمادة (ع ق ل) فيقلبها على جميع وجوهها ، فتأتى منها المواد المستعملة

---

(١) الجمهرة : ١ / ٤٥٦ .

(٢) السابق : ص ٤٥٨ .

(٣) السابق : ص ٤٥٩ .

(٤) السابق : ص ١٢٨ .

الآتى ذكرها : العقل ، والعلق ، والقلع والقعل واللعق واللقع . ثم يأتى بمادة (ع ق م) فيقلبها على جميع وجوهها ويفسر المستعمل من هذه الوجوه ، وهى : عقم - عمق - قمع - معق - مقع - قعم .

نموذج من الكتاب :

من (حرف الغين فى الثلاثى الصحيح)

(باب الغين والقاف)

(مع باقى الحروف فى الثلاثــى الصحيح)[1]

(غ ق ك) مهمل .

(غ ق ل) :

أغلق الباب يغلقه إغلاقا وغلق الرهن غلوقا ، وهـو أن يبقى عند المرهون عنده بما عليه لا يفكّ .

وفى الحديث : (لا يغلق الرهن) .

ومغلاق الباب وغلقه : الحديدة التى يغلق بها .

وغلّاق : اسم ، والغلْقة نبت يدْبغُ به - وأديم مغلـوق : إذا كان مدبوغا بالغلْقة ، وقد سمّت العرب : غلّاقـا وزجل غَلِق : سيء الخُلق ، وقوم مغاليق : تُغلَق القِداح على أيديهم : أى يفوزون بها ، قال مهلهل :

إنَّ تحتَ الأحجَار حَزمًا ولِينًا وخصيمـا ألـدُّ ذَا مِغـلاقِ

ويروى : معلاق .

(غ ق م)

---

(١) الجمهرة : ١ /١٤٨ ، ١٤٩ .

الغمق : ركوب الندى الأرض ، غمق يومنا يغمَقُ غَمقًا
فهو غَمِق : إذا كثر نداه .

(غ ق ن)

نغق الغراب ينغق وينغِق تنغيقا ، وهو ناغق : إذا صاح
وهو النغيق ، والنغاق .

(غ ق و) مهمل .

(غ ق هـ) :

الغيهق : الطويل من الإبل وغيرها ، ويقال : غيهق –
بالعين والغين – فى الإبل خاصة ، وفى غيرها بالغين
المعجمة . وغيهق الظلام عينَه : إذا أضعف بصـرَه ، وغيهقت
عينهُ : إذا ضعفت .

(غ ق ى) :

غيقة : موضع . وتغيقت عينه إذا اسمدرّت وأظلمت .

والغاق : زَعَمُوا طائر .

ونلحظ من هذا النموذج :

١ – أن ابن دريد كان ينبه على المادة المهملة بأكملها ، أما الأخرى : فإنه يعرّف
المستعمل منها ، والمهمل يدعه ولا ينبه عليه .

٢ – أنه استشهد على شرحه بما تيسر له من حديث رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) ومن أشعار العرب .

٣ – أن المادة تشتمل على الحرف ثم التالى له ثم التالين لهما ، دون الرجوع إلى
الحروف السابقة عليهما ، والتى أتى بها فى المواد الأولى .

***

المآخذ على كتاب الجمهرة ونظامه

١ - انفراده بأشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين ، مما دعا البعض إلى اتهامه بالوضع والكذب ، بالإضافة إلى أن هذا مخالف لمنهجه الذى رسمه لنفسه ؛ ألا وهو ذكر الجمهور الشائع من كلام العرب ، وليس الخفى الذى لا يكاد أحد يعرفه سواه .

٢ - تصحيف كثير من الألفاظ فى معجمه مما جعل الكثيرين يعيبونه به .

٣ - تفسيره كثيرا من الألفاظ بكلمة معروف .

٤ - وضوح الإضطراب فى تبويب معجمه ، إذ أنه راعى نظام الابنية فى القسط الأكبر من كتابه ، ثم رأى بعض الرسائل اللغوية التى استحوذت على أعجابه ؛ فألحقها بمعجمه دون أى ترتيب يذكر .

كما أنه لم يراع نظام الأبنية فى الكتاب مراعاة صارمة ودقيقة[1] ؛ إذ أنه كثيرا ما خرج عليه ، وسار على أسس أخرى ، فتشتت الأبنية والألفاظ .

الجديد الذى أتى به صاحب معجم الجمهرة

١ - أنه طرح الترتيب الذى يقوم على أساس ترتيب مخارج الحروف ولجأ إلى الترتيب السهل المألوف ، وهو الترتيب الألفبائى .

وبذلك : يكون قد خطا بترتيب المعاجم العربية خطوة إلى الأمام[2] .

تلاميذ مدرسة الجمهرة (التقليبات الهجائية)

نظرا لكثرة الاضطراب الموجود فى معجم الجمهرة : فإن أحدا لم يفكر فى السير على طريقته ، لكن قامت دراسات حول كتابه ، يمكن أن تقسم إلى أربعة أقسام :

---

(١) انظر : المعجم العربى : ٢ / ٤٣٠ - ٤٣٣ .

(٢) انظر : المعجم العربى : ٢ / ٤٣٣ ، البحث اللغوى عند العرب : ص ١٨٣ .

الأول : ذكر فائت الجمهرة ، وقد ألف فيه : أبو عمر الزاهـد (ت ٣٤٥هـ) .

الثانى : اختصارات للجمهرة ، ومنها :

١ – جوهرة الجمهرة : للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) .

٢ – مختصر الجمهرة : لشرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين الأنصارى (ت ٦٣٠هـ) .

الثالث : نظم للجمهرة : وقد قام به : يحيى بن معط بن عبد النور المغربى (ت ٦٢٨هـ) .

الرابع : شرح شواهد الجمهرة : وقد قام به : أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩هـ) فى كتابه : نثر شواهد الجمهرة ، ويقع فى ثلاثة أجزاء .

***

الفصل الثالث

مدرسة القافيــة

بلغت المعاجم فى القرن الرابع الهجرى ذروتها ؛ من حيث كميـة الألفاظ ومعانيها التى ملئت بها . ولكن بقى فيها عيـب أساسى لم تتخلص منه ألا وهو صعوبة المطالعة فيها ، وصعوبة الوصـول إلى المراد منها .

وهذا ما دفع المعجميين اللاحقين إلى محاولة التخفيف عـن مرتادى المعاجم ، وذلك باتباع طريقتين :

الأولى : تبسيط طريقة حشد الألفاظ داخل المعجم ؛ ليسهل الوصول إلـى كل لفظ فى مكانه .

والثانية : تخليص المعاجم من الألفاظ الكثيرة التى يُشك فى صحتها .

وكان على رأس هؤلاء المعجميين الذين نهجوا هذا النهـج : الجوهرى (أبو نصر إسماعيل بن حماد – ت فى حدود : ٤٠٠هـ) فـى معجمه : تاج اللغة وصحاح العربية .

فمن هو الجوهرى ؟(*) .

هو الإمام اللغوى : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، من فاراب ببلاد الترك ، وكان من أعاجيب الزمان ذكاء ، وفطنة ، وعلما ، كمـا كان إماما فى علم اللغة والأدب ، وخَطُّهُ يضرب به المثل فى الجودة .

ولم يكن يُحب الاستقرار فى مكان ، بل كان يُؤْثِر السفر على الحضر ويطوف

(*) انظر فى هذا . معجم الأدباء : ٦ / ١٥١ – ١٦٥ ، إنباه الرواه ١ / ١٩٤ – ١٩٨ ، بغية الوعاة : ١ / ٤٤٦ – ٤٤٨ .

الآفاق ، ولذلك : دخل العراق ، وقرأ العربية على شَيْخَيْ زمانه : أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى ، ثم سافر إلى الحجاز ، وشافه العرب العاربة فى ديار ربيعة ومضر .

وحين حقق مراده من التجوال والتعلم ، عاد إلى خراسان ، ثـم سافر منها إلى نيسابور ، فأقام بها يدرِّس للناس ويؤلف ويعلِّم الخط الجميل ، حتى توفاه الله فى زمن لم يستطع المؤرخون تحديده ، ولذلك قال ياقوت :[1] « ومن العجيب أنى بحثت عن مولده ووفاته بحثا شافيا ، وسألت عنهمـا الوارِدِين من نَيْسَابور ، فلم أجد مُخْبِرا عن ذلك ! » ثم قال : إنه وجـد نسخةً للصحاح بخط الجوهرى كتبها سنة ست وتسعين وثلاثمائة[2] ، وهذا ما يُرجح أنه مات بعد هذا التاريخ أى فى حدود الأربعمائة كما ذهب البعض[3] .

تصانيفه :

صنف كتابا فى العروض ، ومقدمة فى النحو ، والصحاح فى اللغة ، وهو أشهر وأفضل كتبه ، وكان سببا فى إصابته بلوثة عقلية ، حيث قيل[4] : « إنه لما صنفه سُمِّع عليه إلى باب الضاد المعجمة ، وعرض له وَسْوَسَة ، فانتقل إلى الجامع القديم بَنِيْسَابور ، فصعِد سطحه ، فقال : أيها الناس : إنـى قد عملت فى الدنيا شيئا لم أُسْبَق إليه ، فسأعمل للآخرة أمرا لم أُسبـق إليه ، وضم إلى جنبيه مِصْراعَىْ باب ، وتأبطهما بحبل وصعد مكانـا وزعم أنه يطير ، فوقع فمات » .

***

(١) معجم الأدباء : ٦ / ١٥٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٩ .

(٣) انظر : بغية الوعاة : ١ / ٤٤٧ .

(٤) السابق نفسه .

معجم الصحاح

(تاج اللغة وصحاح العربية)

ضبط اسمه :

« اختلف العلماء فى ضبط الصحاح : أهو بكسر الصاد أم بالفتح ؟ ولم يَرد عن المؤلف ضبطه ، وهو صالح أن ينطق بالكسر أو الفتح ، ولا لوم على الناطق بأحدهما »[1] .

غرض الجوهرى من تأليف الصحاح :

أفصح الجوهرى عن غرضه من تأليف كتابه ، وذلك حين قال فى تقديمه له :[2] « أما بعد : فانى قد أودعت هذا الكتاب :

(١) ما صح عندى من هذه اللغة التى شرف الله منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها .

(٢) على ترتيب لم أُسبق إليه وتهذيب لم أُغلب عليه » .

منهج الجوهرى فى تأليف وترتيب كتابه

استفاد الجوهرى من أخطاء سابقيه ، ومن النقد الذى وُجِّه إلى معاجمهم ، ولذلك حاول أن يسلك طريقا جديدا لم يُسبق إليه . ويتلخص ذلك فيما يأتى :

أولا : أنه خلَّص كتابه مما يُشَكُّ فيه من الألفاظ ، واعتمد فى ذلك على مشافهته للأعراب .

ثانيا : رتب كتابه ترتيبا جديدا ، كما يلى :

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار – الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١٤٣ – طبع دار الكتاب العربى بمصر .

(٢) الصحاح – بتحقيق عبد الغفور عطار – ١ /٣٣ .

١ – كان – كسابقيه – يجرد الكلمات من زوائدها ، ويرد الحرف المحذوف إلى مكانه ، والحرف المقلوب إلى أصله .

٢ – قسم هذه الألفاظ إلى ثمانية وعشرين بابا – بعدد حروف الهجاء – وذلك حسب أواخر الألفاظ ، فكل ما ينتهى بحرف الهمزة : يضعه فى باب الألف المهموزة ، وكل ما ينتهى بحرف الباء : يضعه فى باب الباء ، وكل ما ينتهى بحرف التاء : يضعه فى باب التاء ، وهكذا إلى باب الواو ، والياء الذين جمعهما معا فى باب واحد .

٣ – قسم هذه الأبواب إلى ثمانية وعشرين فصلا – بعدد حروف الهجاء كذلك – حسب أوائل الألفاظ ، فكل ما يبدأ بحرف الهمزة : يوضع فى فصل الهمزة ، وكل ما يبدأ بحرف الباء : يوضع فى حرف الباء ، وهكذا إلى فصل الياء .

٤ – رتب الألفاظ داخل كل فصل : حسب الحرف الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع ، فمثلا فى باب الباء فصل التاء : نجده قد رتب الألفاظ داخل هذا الفصل على النحو التالى : ثأب – ثرب – ثرقب – ثعب – ثعلب – ثغب – ثقب – ثلب – ثوب . ونلحظ عليه : أنه لم يذكر الألفاظ المهملة ، ولم ينبه عليها ، وإنما ذكر المستعمل فقط .

وقد صان هذا النظام معجمه من الخلط والاضطراب ، ووسمه بطابع الدقة العلمية المنهجية فى التأليف المعجمى[1] .

كما اهتدى إلى هذه الطريقة بسبب « علمه الواسع بالصرف واشتغاله به ، فهو قد رأى أن ميزان الكلمة : الفاء والعين واللام ، والتغيير يلحق ما قبل لام الكلمة ... أما لام الكلمة فثابتة لا تتغير مهما اختلفت صور

---

(١) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١٥٦ .

الكلمة ألا فى حالات قليلة[1] .

٥ - التزم طريقة جديدة لضبط الكلمة بالحركات لم يتبعها أحد من قبله ، وتتلخص فيما يلى[2] :

أ - إذا قال - عقب الاسم - : بالكسر أو الفتح أو الضم : فمعنى ذلك أنه يضبط الحرف الأول منه .

ب - وإذا قال : بالتحريك : فالضبط للحرفين الأولين من الاسم .

جـ - وإذا قال : بالتشديد فى مثل حلَّاب : فمعنى ذلك أن اللام هى المشددة ، ضرورة .

د - وإذا كان فى الكلمة لغات : أشار إليها . وكرر الكلمة بعدد اللغات التى وردت فيها .

هـ - وإذا قال عقب الفعل الماضى أو المضارع : بالكسر أو الضم أو الفتح فالمقصود من ذلك : عين الفعل .

نموذج من الصحاح :

(من باب الباء فصل الهاء)

يذكر مادة : هبب ، ثم هدب التى يقول فيها :[3] .

الهُدْبة : الخملة وضم الدال لغة فيه . وهُدْبُ الثوب وهُدَّابُ الثوب : ما على أطرافه . ودِمَقْس مُهَدَّب ، أى ذو هُدَّاب . وهُدْب العين : ما نبت من الشعر على أشفارها والأهْدَاب : الرجل الكثير أشفار العين .

والهَدَب بالتحريك : كل ورق ليس له عرض كورق

(١) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١٥٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٧ .

(٣) الصحاح - بتحقيق عبد الغفور عطار : ١ / ٢٣٦ - ٢٤٠ .

الأَثْل والسَّرو والأرْطى والطرفاء ، وكذلك الهُدَّاب .

وقال الشاعر :

في كِنَــسٍ ظَاهِــرٍ يستُــرُه من علُ الشَّفَّان هُدَّاب الفنـن

وهُدّاب النخل : سعفه . وهدَبَ الناقة يهدِبُها هدْبًا : احتلبها ، وهَدَب الثمرة : أي اجتناها . والهَيْـدَبُ : العَيِيُّ الثقيل ، وهيدب السحاب : ما تهدَّب منه إذا أراد الودْق كأنه خيوط . قال أوس بن حجر :

وإنِ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه يكاد يدفَعُهُ مَنْ قَام بالـرَّاحِ

وهنِدَبُ – بفتح الدال – وهندَبًا – وهندَباة : بقْل .

وقال أبو زيد : الهندِبا بكسر الدال : يمد ويقصر .

ثم يذكر بعد ذلك المواد الآتية :

هذب – هرب – هرجب – هردب – هزب – هضب – هلـب – هنب – هيب .

ونلحظ عليه – من خلال هذه المادة – أنه :

١ – اختصر الشرح اختصارا كبيرا .

٢ – قلل من الشواهد .

٣ – قلل من ذكر اللغويين .

٤ – سار على منهجه في الضبط .

٥ – سار على منهجه في ترتيب المواد داخل الفصل .

ما أُخذ على الصحاح :

١ – إغفاله كثيرا من المواد التي تعد من صحاح العربية ، ولذلك نقده

الفيروزبادى فى مقدمته للقاموس المحيط حيث قال[1] : « فاتـه ثلثا اللغة أو أكثر ، إما باهمال المادة ، أو بترك المعانى الغريبة النادرة » .

وقد حرص الفيروزبادى على أن ينبه فى قاموسه على المواد التى أهملها الجوهرى ، وذلك بكتابتها باللون الأحمر فلما طبع الكتـاب وتعذر ذلك اللون وضع عليها خط أفقى .

٢ – امتلأ الكتاب بالتصحيفات التى ليست من النساخ ؛ وإنما هى مـن المؤلف !

وقد نقده فى هذا : الكثير من اللغويين وعلى رأسهم الفيروزبادى[2] .

٣ – هذا بالإضافة إلى هَنَات أُخر أُخذَت عليه : « من خطأ فى وضع بعض المواد ، وخلط بين المعتل والمهموز ، وخطأ فى التفسير أو التعليل النحوى أو الصرفى ، وخلل فى الشواهد وما إلـى ذلك »[3] .

دراسات حول الصحاح :

نظرا لما كان للصحاح من شهرة ذاعت وانتشرت فى الآفاق : فقـد اهتم به العلماء والباحثون ، وعكفوا عليه : يدرسونه ، وينقدونه ، ويعلقون عليه ، ويكملون ناقصه ، أو : يختصرونه ، وينظمون مواده ، ويشرحون شواهده ، ويترجمونه إلى الفارسية والتركية ، وقد أثمر هذا كتبا كثيرة تعادل ما دار حـول العين كثرة .

ولا مجال الآن لذكر هذه الكتب الكثيرة الغفيرة[4] .

المعاجم التى حذت حذو الصحاح

هناك معاجم كثيرة حذت حذو الصحاح ، وسارت على طريقته .

---

(١) القاموس المحيط : ١ / ٣ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٢) المرجع السابق : ص ٤ .

(٣) المعجم العربى : ٢ / ٥٠٣ ، وانظر : الصحاح ومدارس المعجمات ص ١٦٨ – ١٨١ .

(٤) إن شئت تفصيلا : فانظر : المرجعين السابقين .

وأشهرها :

١ - العباب - للصغانى (٥٧٧ - ٦٥٠هـ)

٢ - لسان العرب - لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ)

٣ - القاموس المحيط - للفيروزبادى (٧٢٩ - ٨١٦ أو ٨١٧هـ)

٤ - تاج العروس (شرح للقاموس المحيط) للزبيدى (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)

وقد سارت هذه المعجمات وراء الصحاح فى الترتيب والتقسيم ، كما اشتركت معه فى : إفراد باب واحد للكلمات التى آخرها الواو والياء ، ثم فى تقديم الواو على الهاء فى الفصول ، حتى يمكن فصل اللفيف الذى وسطه الواو عن اللفيف الذى وسطه الياء .[1] .

كما امتاز كل معجم من معاجم هذه المدرسة بميزة تفرد بها عن الآخرين .

فالصحاح : التزم الصحيح من الألفاظ (من وجهة نظره) وتغلبت عليه الصبغة النحوية والصرفية .

والعُباب : تغلبت عليه الصبغة الأدبية ، والعناية بالشواهد الشعرية .

والقاموس المحيط : التزم الاختصار والاستقصاء وتغلبت عليه الصبغة الطبية ، والإكثار من الأعلام وخاصة أعلام المحَدِّثين ، والأماكن والمصطلحات .

واللسان : التزم الإسهاب والإطناب ، مع اقتصاره على المواد اللغوية .

وتاج العروس : التزم أيضا الاسهاب **والإطناب إلا إنه لم يقتصر على المواد اللغوية بل زاد عليها ما فى القاموس وغيره ، ولذلك فإنه يعد خليطا من دوائر المعارف والمعجمات**[1] .

---

(١) انظر : المعجم العربى : ٢ / ٦٨٦ .

ما يؤخذ على هذه المدرسة عموما :

١ – أنها – على الرغم مما كان فى متهجها من سهولة أكثر مما كان فى المدرستين السابقتين – إلا انها احتفظت بشىء من الصعوبة التى جعلتهم – أو أفرادا منهم – يضطربون فى ترتيب بعض المواد .

وذلك لان النظر إلى آخر الكلمة ، ثم إلى أولها ، ثم إلى وسطها : فيه تشتيت للذهن ، والأيسر منه : الترتيب من وجه واحد حين يُنظر إلى الأول ثم الثانى ثم الثالث .

ولذلك كان ترتيب هذه المدرسة سهلا فى الثلاثى أما فى غيره – من الرباعى أو الخماسى – فقد كان فيه عسر .

٢ – أن طريقتها توقع فى الالتباس أحيانا ، وخاصة إذا كان الحرف الأخير حرف علة لا يُعرف أصله ، وهل هو واوى أو يائى ، وقد كان ذلك سببا فى جمعها للواوى واليائى معا فى باب واحد ، ولذلك تحتاج – هذه المدرسة ممن يَرُودُها إلى أن يكون ضلعيا فى علم الصرف[1] .

وهذا ما حدا بأصحاب المدرسة التالية ، وهى مدرسة الترتيب الألفبائى إلى أن تنآى عن ترتيب القافية إلى ترتيبها الجديد .

***

(١) انظر : المعجم العربى : ٢ / ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

الفصل الرابع
مدرسة الترتيب الهجائى الألفبائى

وهى المدرسة التى رتبت موادها على حسب ترتيب الحروف الهجائية ، الألفبائية ، التى رتبها نصر بن عاصم ، وهى : (ا - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ إلى : ى) مع مراعاة الحرف الأول والثانى والثالث والرابع .

وكان (مجمل اللغة لابن فارس - ت ٣٩٥ هـ) أول من أرسى قواعدها ، وأسس أسسها من وجهة نظرى ، لأن هناك خلافا حول مؤسس هذه المدرسة ، وسوف يتبين لنا الحق - فى هذا - واضحا جليا ، عندما ندرس معا : معجم (مجمل اللغة لابن فارس) .

مجمل اللغة لابن فارس(*)
(٣٠٦ أو ٣٠٨ - ٣٩٥هـ)
أولا : ابن فارس

من هو ؟

هو : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب .

ميلاده :

ولد سنة ست وقيل سنة ثمان وثلاثمائة ، أى فى نهاية العقد الأول من القرن الرابع الهجرى[1] .

(*) عن بحث للمؤلف ، تحت عنوان : مجمل اللغة لابن فارس ، ومكانته بين معاجم اللغة العربية - نشر فى مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية : - العدد السادس ، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - بتصرف .

(١) انظر : مقدمة محقق المجمل : زهير عبد المحسن سلطان - طبع ونشر : مؤسسة الرسالة بيروت : ص ١٢ .

وكانت ولادته بقرية كرسف جياناتاز ، وهى قرية من رستـاق الزهراء[1] .

طلبه للعلم :

درس ن قزوين على كبار علمائها ثم فى أصبهان[2] ، ثم فى زَنْجان[3] ، ثم فى مَيَانْج[4] ، ثم فى بغداد[5] .

وقد استفاد من هذه الرحلات العلمية علما غزيرا فى اللغة ، وعلـوم القرآن ، والحديث ، وذاعت شهرته أثناء اقامتى بهمذان[6] – فى كل مكان مما دعا مجد الدولة : أبا طالب بن فخر الدولة على بن ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه الديلمى – صاحب الرِّى – إلى أن يدعوه ليقرأ عليه ، فذهب إلى هناك ، وأقام فى الرى بقية حياته[7] .

مكانته العلمية :

كان ابن فارس : من أئمة أهل اللغة فى وقته ، محتجا به فى جميع الجهات غير منازع ، حيث كان صاحب مدرسة جديدة فى المعاجم ، أما فى فقه اللغة : فيكفيه كتابه : (الصاحبى) الذى تناول فيه مختلف مسائل فقـه اللغة العربية[8] .

---

(١) إنباه الرواه : ١ / ٩٤ .

(٢) مدينة عظيمة مشهورة ببلاد فارس – معجم البلدان : ١ / ٢٦٩ – ٢٧٥ – دار صادر بيروت .

(٣) بلد كبير مشهور من نواحى الجبال بين أذربيجان وبينها ، وهى قرية من قزوين - معجم البلدان : ٣ / ١٥٢ .

(٤) موضع بالشام – معجم البلدان : ٨ / ٢١٨ .

(٥) انظر : إنباه الرواة : ١ / ٩٥ .

(٦) من أكبر بلاد فارس ، وصِنْوٌ لأصبهان – معجم البلدان : ٨ / ٤٧١ .

(٧) انظر : إنباه الرواه : ١ / ٩٥ ، مقدمة محقق المجمل : ص ١٢ .

(٨) انظر : نزهة الألباء : ص ٣٢١ .

ولم يقتصر علمه على اللغة بل إنه كان كاتبا وشاعرا ومحدثا وفقيها[1] .

آثاره وكتبه :

أما آثاره التى خلفها ، وكتبه التى صنفها : فهى كثيرة وغفيرة ومتنوعة ، تدل على علم غزير وذكاء نادر ، وقد أحصاها المحصون فبلغت عدتها : ستة وستين كتابا ما بين اللغة والتفسير والسيرة النبوية[2] .

وفاته :

ذكرت بعض المصادر : أنه توفى سنة ٣٩٠ هـ[3] . وذكر بعضها الآخر أنه توفى سنة ٣٩٥هـ[4] وهو أرجح الآراء لأن ياقوت الحموى ذكر فى معجم الأدباء[5] أنه وجد بخط ابن فارس على كتابه (الفصيح) : أنه كتبه سنة ٣٩١ هـ ، وهذا يعنى أنه كان حيا فى هذا العام .

وقد توفى بالرى[6] ، ودفن بالمحمدية[7] مقابل مشهد القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى[8] .

---

(١) انظر : معجم الأدباء ٤ / ٨٤ ، ومقدمة محقق المجمل ص ٢٠ - ٢٢ .
(٢) انظر : المرجعين السابقين .
(٣) انظر : وفيات الأعيان : ١ / ١١٩ .
(٤) انظر : معجم الأدباء : ٤ / ٩٣ .
(٥) المرجع السابق : ص ٨٢ .
(٦) معجم الأدباء : ص ٩٣ ، إنباه الرواه : ١ / ٩٥ .
(٧) انظر وفيات الأعيان : ١ / ١١٩ .
(٨) انظر معجم الأدباء : ٤ / ٩٣ ، إنباه الرواة : ١ / ٩٥ .

ثانيا : مجمل اللغة

تسميته :

نص ابن فارس على هذه التسمية لكتابه فى مقدمته ، حيث قال :[1] وسميته مجمل اللغة : « لأنى أجملت الكلام فيه إجمالا ، ولم أكثره بالشواهد والتصاريف ، إرادة الإيجاز » .

سبب تأليفه :

نستطيع أن نستشفه – معا – من خلال قوله – فى تقديمه لمجمل اللغة –[2] : « إنى لما شاهدت كتاب العين الذى صنفه الخليل بن أحمد[3] ، ووعورة ألفاظه ، وشدة الوصول إلى استخراج أبوابه ، وقصده إلى ما كان يطلع عليه أهل زمانه ، الذين جُبِلوا على المعرفة ، ولم يتصعب وعورة الالفاظ .

ورأيت كتاب الجمهرة الذى صنفه أبو بكر بن دريد :[4] وقد وفى بما جمعه الخليل : وزاد عليه ، لأنه قصد إلى تكثير الألفاظ ، وأراد إظهار قدرته ، وأن يُعْلِم الناظرين فى كتابه : أنه قد ظفر بما سقط عن المتقدمين ، وإن كان قصب السَّبق مُسَلَّما لهم . لأن بناء المتأخر على ما قدموه .

وبعد : .... فإنك لما أعلمتنى رغبتك فى الادب ، ومحبتك لعرفان كلام العرب ، وأنك شامت الأصول الكبار ؛[5] فَراعَك[6] ما أبصرته : من بُعْد

---

(١) مجمل اللغة – بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان : ١ / ٧٥ .

(٢) المرجع السابق : نفسه .

(٣) هو : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى من أئمة اللغة والنحو ، صاحب معجم العين – توفى سنة ١٧٥هـ – إنباه الرواه : ١ / ٣٤١ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى – من علماء اللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها – ت ٣٢١هـ – إنباه الرواه : ٣ / ٩٢ .

(٥) أى : نظرت فى أصول المعاجم الكبار كالعين للخليل ، والجمهرة لابن دريد .

(٦) أى : أفزعك .

تَنَاولها ، وكثرة أبوابها ، وتشعب سُبُلهـا ،[1] وخشيت ان يَلْفِتَك[2] ذلك عن مرادك ، وسألتنى جمع كتاب فى ذلك ، يذلل صعبه ويسهل عليك وعره :

أنشأت كتابى هذا : بمختصر من الكلام قريب ، يقل لفظه ، وتكثـر فوائده ، ويبلغ بك طرفا مما أنت ملتمسه ، وسميته : مجمل اللغة » .

ويبدو من هذا النص ، ثم من قوله فى خاتمة كتابه :[3]

« وهذا آخر مجمل اللغة ، فاحفظه وتدبر ترتيب أبوابه . واعلـم أنى توخيت الاختصار كما أردتَ ، وآثرت الإيجاز كما سألتَ » .

أقول : يبدو من هذين النصين : أن سائلا سأله أن يؤلف لـه معجما لغويا جامعا ، ومختصرا ، وسهل التناول ، فأجابه إلى ما سأل ولكـن هذا الشخص ما زال مجهولا إلى الآن[4] .

مصادر الكتاب المسموعة :

ذكرها ابن فارس فى بداية كتاب الألف من معجمه حيث قال[5] : إنهم : أبو عبد الرحمن : الخليل بن أحمد البصرى وأبو الحسـن على ابن حمزة الكسائىّ (ت ٢٨٠ هـ) وابو زكرياء يحيى بن زياد العبسى ، (الفراء – ت ٢٠٧ هـ) وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (توفى ٢١٢ هـ) وأبو عبيدة : مَعْمَر بن المثنى التيمى (ت ٢١٠ هـ) وأبو محمد يحيى بن سعيد الأموى (ت ٢١٥ هـ) وأبو زيد : سعيد بن أوس الأنصارى (ت ٢١٤ هـ) وأبو عمرو : إسحاق بن مرار الشيبانى (ت ٢١٠ هـ) وأبو عبيد : القاسم بن سلام البغدادى

---

(١) أى : كثرة طرقها ، وهذا يُشعر بالتوهان بين الدروب .

(٢) أى : يصرفك .

(٣) مجمل اللغة : ٣ / ٩٤٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق : ١ / ٣٤ .

(٥) المرجع السابق : ص ٧٧ .

(ت ٢٢٤ هـ) وأبو عبد الله : محمد بن زياد الأعرابى (ت ٢٣١ هـ) وأبو العباس : أحمد بن يحيى الشيبانى (ثعلب - ت ٢٩١ هـ) وأبو العباس : محمد بن يزيد الثمالى (المبرد - ت ٢٨٥ هـ) وأبو محمد : عبد الله بن مسلم القتيبى (ابن قتيبة - ت ٢٧٦ هـ) وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى (ت - ٣٢١ هـ) .

وقد سمع من هؤلاء العلماء عن طريق رواتهم ومن نقلوا عنهم .

هذا وقد صرح - عقب ذلك - بأن كلام بعضهم دخل فى بعض ، وأن ما ألفه فى هذا الكتاب : يعد من كلامهم أجمعين « وإن كان أحدهم قد زاد - فى التصاريف والشواهد - على الآخر »[1] .

أما مصادره المقروءة :

والتى صرح بها فى ثنايا كتابه فقد كانت الكتب الآتية :[2] .

١ - كتاب العين : للخليل بن أحمد الفراهيدى .

٢ - كتاب غريب الحديث : لأبى عبيد .

٣ - كتاب الغريب المصنف : لأبى عبيد .

٤ - كتاب إصلاح المنطق : لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) .

٥ - كتاب تهذيب الألفاظ : لابن السكيت .

٦ - كتاب القلب والإبدال لابن السكيت .

٧ - كتاب جمهرة اللغة : لابن دريد .

٨ - كتاب غريب الحديث : لابن قتيبة .

٩ - كتاب أدب الكاتب : لابن قتيبة .

١٠ - كتاب الجيم : لأبى عمرو الشيبانى .

---

(١) مجمل اللغة : ١ / ٧٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٦ - ٣٨ .

١١ – كتاب النبات : لأبى حنيفة الدينورى (ت ١٩٠هـ) .

١٢ – الكتاب : لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) .

١٣ – كتاب الإبل : للاصمعى .

١٤ – مجاز القرآن : لأبى عبيدة .

١٥ – كتاب النوادر : للحيانى (على بن المبارك) .

منهج مجمل اللغة :

أولا : قسم ابن فارس كتابه إلى ثمانية وعشرين كتابا بعدد حروف الهجاء .

وبدأ بكتاب الهمزة وانتهى بكتاب الياء .

وحشا هذه الكتب بالألفاظ التى أولها الحرف عنوان الكتاب ، وقد وضح ذلك فى مقدمته حيث قال :[1] « خرَّجته على حروف المعجم ، فجعلت كل كلمة أولها ألف : فى كتاب الألف ، وكل كلمة أولها باء : فى كتاب الباء ، حتى أتيت على الحروف كلها » .

ثانيا : قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسة ، هى :

١ – باب الثنائى المضاعف الحرف الثانى – مثل : (رسَّ) والمطابق : وهو الذى تكرر حرفاه – وهو ما نعبر عنه بالمضاعف الرباعى – مثل رَسْرَسَ[2] ، وقد ذكر المطابق فى ثنايا الثنائى المضاعف[3] .

ويستطرد فى ذكر مواد هذا الباب حتى يستقصيها ، وإن شئت فانظر معى كتاب الباء مثلا تجده قد بدأه بقوله[4] : باب الباء وما بعدها فى المضاعف والمطابق ، ثم يذكر مواده هكذا :

---

(١) مجمل اللغة : ١ / ٧٦ .

(٢) انظر كتاب الراء – مجمل اللغة : ١ / ٣٦٦ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق : ١ / ١١٠ .

بت – بث – بج – بح – بخ – بذ – بر –
بز – بس – بش – بص – بط – بظ – بع – بغ –
بق – بك – بل – بن – به – بو – بأ – بب .

٢ – باب الثلاثى : ويذكره بعد الانتهاء من الثنائىّ المضاعف والمطابق .

٣ – باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف : ويذكره عقب الانتهاء من باب الثلاثى فى كل كتاب .

ملاحظات على منهجه :

ذكرت مثالا لمنهجه فى ترتيب مفردات كتابه فى باب الثنائىّ المضاعف والمطابق وسوف أذكر مثالا لمنهجه فى ترتيب هذه المفردات فى باب من أبواب الثلاثى حتى تتضح لنا صورة هذا المنهج .

ففى كتاب الراء – مثلا – يقول : باب الراء والزاى وما يثلثهما[1] ، ثم يأتى بمواد الباب الثلاثية مرتبة حسب الأول والثانى والثالث من حروفها هكذا : رزع ، رزف ، رزق ، رزم ، رزن ، رزأ ، رزح .

وتلحظ معى هنا : أنه بدأ باب الراء والزاى وما يثلثهما : بالراء والزاى ثم ثلثهما بما بعدهما من حروف مثل : العين ثم الفاء ثم القاف ثم الميم ثم النون ، وبعد ذلك أكمل المواد من بداية حروف الهجاء فثلثهما بالهمزة ثم بالحاء وذلك بعد إسقاط المواد التى لا تستعمل .

وقد نهج مثل هذا المنهج فى باب الثنائىّ السابق الذكر حيث بدأ بالباء وثناها بما بعدها من الحروف – وهى التاء ثم الثاء ثم الجيم وهكذا حتى وصل إلى الواو

---

(١) مجمل اللغة : ١ / ٣٧٣ .

ثم ثناها بالهمزة ثم بالباء .

وبناء على ذلك أقول : إنه لم يبدأ مواد كل باب من أول حروف الهجاء ولكنه بدأها بالحروف التى يسمى باسمها الباب ، ثم بالحروف التى تليها ثم بالتى تليها وهكذا حتى ينتهى إلى الياء ، فيعود إلى أول حروف الهجاء ، حتى يصل إلى أول ما بدأ به الباب وهكذا « فإذا تصورنا أن الابجدية منتظمة فى شكل دائرة : فإن الترتيب يبدأ من الحرف المعين مبتدئا بتأليفه مع ما يليه فى الدائرة ثم ينتقل إلى الحرف الثانى وهكذا حتى تعود الدائرة من حيث بدأت »[1] .

وقد جعل ابن فارس : الثلاثى أبوابا عدة تستقصى مادته ، وإن شئت فتأمل معى كتاب الكاف[2] ، وعَدِّ عن باب الكاف وما بعدها فى المضاعف والمطابق تجده يذكر[3] - بعد ذلك - :

باب الكاف واللام وما يثلثهما	باب الكاف والميم وما يثلثهما
باب الكاف والنون وما يثلثهما	باب الكاف والهاء وما يثلثهما
باب الكاف والواو وما يثلثهما	باب الكاف والياء وما يثلثهما

ثم يعود إلى أول حروف الهجاء فيذكر :

باب الكاف والألف وما يثلثهما	باب الكاف والباء وما يثلثهما
باب الكاف والتاء وما يثلثهما	باب الكاف والثاء وما يثلثهما
باب الكاف والحاء وما يثلثهما	باب الكاف والدال وما يثلثهما
باب الكاف والذال وما يثلثهما	باب الكاف والراء وما يثلثهما
باب الكاف والزاى وما يثلثهما	باب الكاف والسين وما يثلثهما
باب الكاف والشين وما يثلثهما	باب الكاف والظاء وما يثلثهما

---

(١) د . عبد الله درويش - المعاجم العربية مع إعتناء خاص بمعجم العين - نشر الأنجلو - ص ١٢٤ .

(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٧٦٥ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق : ص ٧٦٩ .

باب الكاف والعين وما يثلثهما　　　　باب الكاف والفاء وما يثلثهما

وتلحظ معى هنا : أنه سار على منهجه السابق الذكر والذى يشبه الدائرة ، كما تلحظ أنه أسقط الأبواب التى لم تستعمل فى كتاب الكاف مثل :

باب الكاف والخاء وما يثلثهما　　　　باب الكاف والصاد وما يثلثهما

باب الكاف والضاد وما يثلثهما　　　　باب الكاف والطاء وما يثلثهما

باب الكاف والغين وما يثلثهما　　　　باب الكاف والقاف وما يثلثهما

وقد سار على منهجه هذا فى جميع الحروف ما عدا حرف الياء ، فإنه لم يأت فيه بأبواب متعددة للثلاثى بل اقتصر على باب واحد قال فيه[1] : « باب الياء وما بعدها مما هو على ثلاثة أحرف » ثم علل ذلك بقوله[1] : وكتبت ذلك كله بابا واحدا لقلته[2] » .

الاضطراب فى ترتيب المواد :

وقد حدث هذا الاضطراب فى ترتيب مواد : الثنائى ، والثلاثى ، وما هو أكثر من ثلاثة .

أما الثنائى : فمثلا نجده قد ذكر فى كتاب الضاد[3] المواد الثنائية الآتية :

ضع – ضغ – ضف – ضك – ضل – ضم – ضن – ضأ – ضو – ضب – ضج – الخ . . . فمادة (ضو) ذكرت بعد (ضأ) وكان حقها أن تذكر قبلها حسب منهجه .

وأما الثلاثى : فمن أمثلة اضطراب ترتيب مواده : ما حدث فى باب اللام والفاء وما يثلثهما فقد رتب مواده كما يلى :

---

(١) مجمل اللغة : ٣ / ٩٤١ .

(٢) أى : لقلة مواده .

(٣) انظر : مجمل اللغة : ٢ / ٥٥٩ .

لفق – لفك – لفم – لفأ – لفت – لفظ – لفج – لفح – لفع . فقد قدم : (لفظ) على (لفج) وكان حقها أن تكون بعـد (لفح) .

وقد حدث منه « اضطراب كثير فى ترتيب مواد أبواب الثلاثى وفى معظم حروف الكتاب »[1] .

أما عن اضطراب مواد أبواب ما زاد على ثلاثة فقد كان ذلك ديدنه ، ومثال ذلك ما حدث فى باب ما جاء على كلام العرب على أكثر من ثلاثـة أحرف أوله كاف[2] . حيث ذكر المواد التالية بالترتيب الآتى :

الكَنْفَلِيلة – الكِرْنَافَة – الكُرْتَفَة – الكَرْبَلَة – الكِنْفِيرَة – الكُنَابِتُ – الكَلْتَمَةُ .

ونظرة واحدة إلى هذه المواد : تريك أنها مضطربة الترتيب ، ولم يسر فى ترتيبها على حسب منهجه .

وبالإضافة إلى ذلك : فإنه أحيانا لم يكن يأتى بالمفردات التى ترجع إلى مادة واحدة – فى هذا الباب – مجمَّعة وراء بعضها ، بل يباعد بينها ، ومثال ذلك : قوله – فى باب الغين وما بعدها مما هو على أكثر من ثلاثة أحرف[3] « والغَطَمَّشُ : الكليل البصر » ثم إتيانه بالمـواد الآتية وتفسيرها ، وهي : « الغَشْمَرةُ – الغَمَلَّجُ – الغُرْضُوف – الغَلْصَمَةُ – الغَطْرَسَةُ – الغَطْرَفَةُ – الغِرْبالُ – المُغَرْبَل – الغُذْمَرَة – الغَقْرَمَـة – الغَضَنْفَر – المُغْرَنْدَى » .

ثم قوله بعد ذلك : والغَطَمَّشُ : الظَّلُوم الخائن .

هذا : وقد ذَكر هذا الباب – وهو ما زاد على ثلاثه – فى كل كتاب ، ما عدا كتاب الهمزة ، فإنـه لم يذكره فيه ، بل نبه إلى أنه متفرق فيما يأتى بعد كتاب

---

(١) مقدمة المحقق : ص ٤١ .

(٢) المجمل : ٣ / ٧٨٨ ، ٧٨٩ .

(٣) السابق : ص ٦٩٨ .

الهمزة ، وعلـل ذلك : بأن الهمزة غير مستقرة وقد تكون زائدة .

كما أشار إلى أنك إذا « التمست الكلمة منه (أى مما زاد علـى ثلاثة وأوله همزة) فانظر إلى الحرف الذى تراه بعد الألف (أى الهمزة) فالتمسها هناك ، كأنك سُئِلت عن (إِغْلِيطٍ) : فهو فى كتاب العين و(الأملود) : فى كتاب الميم ، و(الإصليت) : فى كتاب الصاد وعلى هذا سائره[1] .

أما عن اضطرابه فى تسمية بعض أبواب الثلاثى : فقد حدث ذلك منه فى كتاب الألف[2] ، حيث قال : باب الهمزة والباء وما يثلثهما .

ثم قال : باب الألف والتاء وما يثلثهما ، وظل على تلك التسمية إلى باب الألف والدال وما يثلثهما ، ثم قال : باب الهمزة والذال وما يثلثهما ، ثم عاد فقال : باب الألف والراء وما يثلثهما ، ثم قال : باب الهمـزة والزاى وما يثلثهما ، إلى أن وصل إلى باب الهمزة والياء وما يثلثهما .

أما عن مظاهر الاضطراب فى منهجه ، فقد تمثلت فيما يأتى[3] :

١ - الخلط بين المواد اللغوية ، وتبين ذلك مما يلى :

أ - الخلط بين الثلاثى وما زاد عليه : حيث ذكر (ثرطأ) - وهى رباعية - فى مادة : (ثرط)[4] ، كما ذكر : (دردق) فى مادة (درق)[5] و(دردب) فى مادة : (درب)[6] و(الدخدار) فى مادة : (دخر)[7] .

---

(١) المجمل : ١ / ١٠٩ .

(٢) انظر : السابق : كتاب الألف .

(٣) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤١ .

(٤) انظر : مجمل اللغة ١ / ١٥٨ .

(٥) السابق : ص ٣٢٢ .

(٦) السابق : ص ٣٢٤ .

(٧) السابق : ص ٣٤٨ .

ب - الخلط بين الثنائي والثلاثي : حيث ذكر (ذأن) في مادة ذن[1] ، و(زلزل) في مادة : (زل)[2] .

وكان أحيانا يشير - حين يذكر المواد الثلاثية في الثنائية - إلى أنها من الثلاثي[3] ، وأحيانا أخرى لا يشير إلى ذلك .

٢ - **الخلط بين المهموز والمعتل** ، ويبدو أن ذلك حدث منه بسبب اهتمامه باللفظ وصورة الخط بدليل قوله في مادة (ذيب) - بعد ذكره لكلمات : الذئب والذئبة ومذؤوب : « وهذه كلها همزات[4] وإنما ذكرتها في هذا الباب (أي : باب الذال والياء وما يثلثهما) لصورة الخط[5] .

٣ - **الخلط بين المعتل من المواد إذا كان الحرف المعتل في وسط المادة :**

مثل : قال وباع ، ولذا تجده يذكر ما ينطق بالألف - وأصله الواو أو الياء - ثم يشير إلى أنه مذكور في بابه الأصيل ، وذلك حيث يقول في باب القاف والألف وما يثلثهما[6] : « عامة هذا الباب مكتوب في موضعه لأن الألف منقلبة عن ياء أو واو وإنما أثبتناه هنا للفظ » .

ولعل هذا ما جعله يكرر المواد في أكثر من مكان وهو شيء مأخوذ عليه أيضا .

اعتذار المحقق لصاحب المجمل عن الاضطراب السابق الذكر :

---

(١) المجمل : ٢ / ٣٥٥ .

(٢) السابق : ص ٤٣٢ .

(٣) كما قال في مادة (ذن) حين ذكر (ذأن) : « وهذه من الثلاثي » - السابق : ص ٣٥٥ .

(٤) أي أنها من المفروض أن تكون في باب : الذال والهمزة وما يثلثهما .

(٥) السابق : ٣٦٢ .

(٦) السابق : ٣ / ٧٤٠ .

وقد اعتذر محقق الكتاب قائلا[1] « ولعل رغبته فى التقريب على المبتدىء من أسباب هذا الخلل المهمة » .

ولا أذهب إلى ما ذهب إليه المحقق الكريم ، وذلك لأن هذا الخلل وذاك الاضطراب لا يساعدان المبتدىء ولا الباحث فى ثنايا المجمل ، بل إنهما يغرقانه فى بحار من الحيرة والاضطراب والشك ، حيث يعمد إلى البحث عن كلمة معينة — فى ثناياه — فلا يجدها فى مكانها فيظن أنها مهملة ، أو أن المؤلف أسقطها . فييأس من العثور عليها .

والذى أعتقده : أن ابن فارس لم تتح له فرصة لمراجعة معجمه هذا ، لأن ذلك الاضطراب لا يخفى على المبتدىء فى هذا الميدان ، فما بالك برجل ضليع متمكن مثله !

وكنت أتمنى لو أن المحقق أزال هذا الاضطراب ، وذاك الخلل ووضع كل شيء فى مكانه مع الإشارة — فى الهامش الأسفل — إلى الموضع الأصلى للمادة التى وضعها فى مكانها الصحيح ، ولو فعل ذلك لـزال الاضطراب ولخرج المجمل إلى الناس فى ثوب قشيب .

٤ — **عدم عرضه لمنهج كتابه فى مفتتحه** حتى يقف عليه مطالعهُ ومرتاده ، بل إنه ساقه فى ثنايا معجمه ، وليته عرضه فى مكان واحد . . ولكنه ساقه حيثما اتفق .

فمرة نراه يتكلم عن منهجه فى مقدمته[2] ، ومرة نراه يتكلم عنه فى مفتتح كتاب من كتب مجمله[3] ، وأخرى نراه يتكلم عنه فى نهاية المجمل[4] .

---

(١) مقدمة المحقق : ص ٤٢ .

(٢) انظر : مجمل اللغة : ١ / ٧٦ .

(٣) السابق : ص ١٦٨ .

(٤) السابق : ٣ / ٩٤٤ .

وفى اعتقادى : أنه لم يعـد إلى ذلك ، ولكنه كان يكتب كتابـه وكلما سنحت له فكرة عن منهجه : سجلها حتى وإن كانت فى غير مكانها .

ولعله ظن منذ البداية أنه لا حاجة به إلى تحديد منهجه إلا بقَدَر ، ثم عن له بعد ذلك أن يوضح بعض نقاطه التى ظن أنها تحتاج إلـى توضيح .

٥ – اضطرابه فى عرض مفردات المادة :

وذلك حيث كان يبدأ احيانا بذكر الفعل وتصريفه كقوله فى مادة (أسف)[١] .

« أسفت آسَف أسَفا : إذا لهِفت ، والأسِفُ : الغضبان والأسِيـف الأجير . . إلخ .

وأحيانا : يبدأ بذكر الاسم ، ثم يأتى بالفعل وتصريفاته ومشتقاتـه ومعانيه ، كقوله – فى مادة (أسن) – :[٢]

« الآسان : الجبال ، قال :[٣]

وقد كنت أهوى النَّاقِمِيَّةَ حِقْبَة ... فقد جَعَلت آسانُ نفسى تتقطع

وأسن الماء : يأسَن ، وأسَن يأسِن ويأسَنُ : إذا تغير ، وتأسَّن – أيضا – والأُسُنُ : بقية الشحم » . . إلخ . .

وأحيانا أخرى : يبدأ بالصفة ، كقوله – فى (بسق)[٤] – : « ناقة مُبْسِق ، من : نوق مباسِيق ، وهى التى وقع اللبأ[٥] فى ضرعها قبل أن تلد ، وبَسَق الشيء : طال ، وبَسـق على أصحابه : علاهم » . إلخ .

---

(١) المجمل : ١ / ٩٥ .

(٢) السابق : ص ٩٦ .

(٣) القائل هو : سعد بن زيدة مناة ، والبيت وارد فى الصحاح (نقم) : كما يلى :

لقد كنت أهوى الناقمية حقبة ... فقد جعلت آسان وصل تقطَّع

(٤) مجمل اللغة : ١ / ١٠٩ .

(٥) اللبأ : من اللبن مهموز – مجمل اللغة (لبأ) .

منهج ابن فارس فى عرض محتويات مجمل اللغة :

١ – نوعية المفردات التى يذكرها :

ألزم نفسه – فى هذا الخصوص – بذكر ما يأتى :

أ – الواضح الصحيح من المفردات اللغوية العربية .

ب – المشهور من أقوال العرب ، الدال على غريب القرآن والحديث والشعر .

وذلك حيث قال فى تقديمه لكتاب الجيم – من مجمل اللغة[١] – « قد ذكرنا فيه الواضح من كلام العرب ، والصحيح منه دون الوحشى المستنكر ، ولم نأل فى اجتباء المشهور الدال على غريب آية أو تفسير حديث أو شعر » .

٢ – مصدر مفرداته اللغوية :

وقد أتى بمفرداته تلك من السماع الصحيح ومن الكتب المشهورة الصحيحة النسب .

ونبهَنا إلى ذلك فى نهاية كتابه حيث قال :[٢] : « واقتصرت على ما صح عندى سماعا أو من كتاب صحيح النسب مشهور .

٣ – ضبطه المفردات اللغوية[٣] :

تعددت أشكال الضبط عنده ، فقد ينص على ذكر حركة الحرف ، فيقول مثلا : « والإمَّة – بالكسر – : النعمة »[٤] .

فإذا كانت اللفظة مما يقرأ بلغتين : فهو إما أن يذكرها مرتين مع الضبط فى

---

(١) ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) ج ٣ ص ٩٤٤ .

(٣) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤٢ .

(٤) مجمل اللغة (أم) .

كل مرة بشكل معين ، كقوله[1] : « مِقبضُ السيف ومقبَضُه » وإما أن يذكر اللغتين دون تكرار للفظ كقوله[2] : « يقال ما أدرى أى النّخط هو : بالضم والفتح » .

وقد يضبط الكلمة على حسب إحدى اللغتين ثم يشير إلى الأخرى كقوله[3] : « ما به حَبَض ولا نَبَض ، أى : تحرك ، وقد تسكن الباء » .

أما إذا كانت اللفظة مما يقرأ بثلاث لغات ، فإنه يذكرها جميعا كقوله[4] : « أَجَن الماءُ يأْجِنُ ويأْجُنُ : إذا تغير ، ويقال : أَجَنَ يأْجَن »[5] .

أما المفردات التي ظن أنها تُشْكِل على القارىء : فقد قيدها بذكر وزنها كقوله[6] : « تَأَيَّيْتَ على : تَفَعَّلْت ، أى : تمَكَّنْت » .

وإذا كانت الكلمة مهموزة : نبه على ذلك – إذا تأكد منه – حتى لا تلتبس بغير المهموزة ، كقوله[7] : « والخشبة مِئْجَنة – مهموزة » وإذا لم يتأكد : فإنه يشير إلى عدم تأكده من همزها كقوله[8] : « والظأْب : الكلام والجلبة ، ولا أدرى أمهموز أم غير مهموز » .

---

(١) المجمل : (قبض) .

(٢) السابق : (نخط) .

(٣) السابق : (نبض) .

(٤) السابق : (أجن) .

(٥) ذكر المحقق أنه إذا كانت اللفظة مما يقرأ بثلاث لغات فإن ابن فارس يذكر اللغة المشهورة أولا ، ثم يذكر اللغتين الأخريين ، وضرب المثل بقوله « والقِطامى : الصقر ، وقد يفتح ويضم » هذا وقد ضبط المحقق كلمة (القِطامى) بالكسر فى مقدمته (ص ٤٢) ، وضبطها بالضم فى صلب الكتاب (٣ / ٧٥٨) وهو الأصح حيث وافق الصحاح ، وهذا مما يشعر أن فيها لغتين فقط هما : الضم والفتح ، ولذلك فإن هذا لا يصلح مثالا لما أراده المحقق كما أعتقد .

(٦) مجمل اللغة : (أى) .

(٧) السابق : (أجن) .

(٨) السابق : (ظأب) .

٤ - عرضه الآراء اللغوية[1] :

كان ابن فارس - فى مجمله - أحيانا : يعرض آراء اللغويين السابقين عليه دون أن يرجح أحد الآراء على الآخر ، كقوله فى (نهش)[2] : « نَهسَ مثل : نَهَشَ ، قال ابن دريد : قال الأصمعى : النهش والنهس واحد ، وهو أخذ اللحم بالفم ، وخالفه أبو زيد فقال : بل النهش بمقدم الفم .

وكان أحيانا أخرى : يرجح رأيا على آخر ، ذاكرا ما عنده من أدلة ترجيحية ، كقوله فى (ضف)[3] : « وقال ابن السكيت : ضفيفة من بقل وقال غيره : ضغيغة ، والأول عندى أصح ، لأنى رويت عن ابن السكيت رواية : ووديفة[4] : وذلك إذا كانت الروضة ناضرة متخيِّلة ورواها أناس : ضغيغة وفيما أظن أنهما وجهان صحيحان ، الذى سمعته أنا بالفاء » .

كما كان يستدرك على من سبقه إذا عنَّ له ذلك بل ويُوَهِّم بعضهم ذاكرا الصواب ، كقوله فى (حسب)[5] : « وقال بعضهم : التحسيب دفن الميت تحت الحجارة ، قال :

غداة ثوى فى الرمل غير مُحَسَّب

وهذا فيما أحسب : غلط ، إنما المُحَسَّب : المُوَسَّد .

٥ - عنايته بلهجات العرب :

عنى ابن فارس - فى مجمله - ببيان بعض لهجات العرب ، **كلهجة هُذيل**

---

(١) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤٣ .

(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٨٤٥ .

(٣) السابق : ١ / ٥٥٩ .

(٤) قال ابن فارس فى (ودف) : « الوَدْفة : الروضة الخضراء من نبت وليس ببقل والودفة نحوها » -السابق ٣ / ٩٢٠ ، وفى القاموس المحيط « والودفة : الروضة الخضراء كالوديفة » : ودف .

(٥) السابق : ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

حيث قال فى (خيط)[1] : « الخَيْطة – فى لغة هذيل – الوتد » .

ولهجة أهل الشحر حيث قال فى (خسف)[2] : « ويقال : إن الخَسْف بلغة أهل الشحر – : الجَوْز ، والواحدة خَسْفة » .

ولهجة بنى تميم حيث قال فى (عفت)[3] : « ويقال إن الأعفت – فى لغة تميم – : الأعسر ، وفى لغة غيرهم : الأحمق .

ولهجة أهل الشام كقوله فى (أرس)[4] : « الأراريس : الزارعون وهى لغة شامية » .

وأخيرا : لهجة أهل اليمن – التى عنى بها أكثر من غيرها واستقاها من جمهرة ابن دريد – كقوله فى (جفش)[5] : « قال ابن دريد : الجفش : الجمع ، لغة يمانية » .

٦ – عنايته بالظواهر اللغوية والصرفية :

مثل : الإبدال ، كقوله فى (أتن)[6] : « والأُتَنان : لغة فى الأُتَلان ، وهو تقارب الخطو » .

والتضاد ، كقوله فى (حنق)[7] : « والمحانيق : الإبل الضُّمَّر يقال : أحنقت : إذا أضمرت ويقال : هى السِّمان ، وإنها من الأضداد .

---

(١) مجمل اللغة : ٣٠٨/٢ .
(٢) السابق : ص ٢٨٨ .
(٣) السابق : ٣ / ٦١٦ .
(٤) السابق : ١ / ٩١ .
(٥) السابق : ص١٩٢ .
(٦) السابق : ص ٨٦ .
(٧) السابق : ص ٢٥٤ .

والإفراد والتثنية والجمع ، كقوله فى (أث)[1] : « ونساء أثائث كثيرات اللحم ، والأثاث : متاع البيت واحدته أثاثة ، ويقال : إنه لا واحد له من لفظه » .

والنسبة ، كقوله فى (أبو)[2] : « والنسبة إلى الأب : أبوى » وكقوله فى (حصن)[3] : « وحِصْنان : بلد والنسبة إليه : حِصْنِى » .

٧ – إشارته إلى المعرَّب :

اهتم ابن فارس فى مجمله بالألفاظ المعرَّبة من الكلام الأعجمى وكانت خطته فى ذلك :

أ – أن يذكر اللفظ المعرب واللغة التى جاء منها ، كقوله فى (كرج)[4] « الكُرَّجُ : فارسى معرب » .

ب – أن يذكره ، واللغة التى جاء منها ، وأصله فى تلك اللغة ، كقوله فى (جيز)[5] « والجائز : الجذع الذى يقال له بالفارسية : تِيرٌ » وجمعه : أَجْوِزَه وجُوزان » .

جـ – أن يذكره دون تعريف بلغته الأصلية كقوله فى (قبج)[6] : « القُبَّجُ معروف[7] ، وهو معرّب » .

---

(١) المجمل : ص ٧٨ .

(٢) السابق : ص ٨٥ .

(٣) السابق : ص ٢٣٧ .

(٤) انظر : السابق : ٣ / ٧٨٣ .

(٥) السابق : ١ / ٢٠٤ .

(٦) السابق : ٣ / ٧٤٠ .

(٧) وهو الحَجَل (الصحاح : قبج) ويبدو أن ابن فارس لم يعرِّف به لأنه كان مألوفا ومعروفا فى عصره ، هذا : وقد ضبطه ابن فارس بضم القاف ولكن الصحاح والقاموس المحيط : ضبطاه بفتح القاف كما أن الصحاح ذكر أنه لفظ فارسى الأصل وقال : إن القاف والجيم لا يجتمعان فى كلمة عربية – انظر : الصحاح والقاموس المحيط (قبج) .

د – أن يؤكد عربية بعض الألفاظ التى يُظَن أنها معرَّبة ، كقوله فى (تور)[1] : « التَّورُ : عربى ، قال ابن دريد[2] : التَّور : الرسول بين القوم عربى صحيح .

هـ – أن لا يجزم بعربية بعض الألفاظ أو أعجميتها ، إذا لم يتأكد من ذلك ، كقوله فى (خون)[3] : « والخِوان : – فيما يقال – اسم أعجمى » .

٨ – عدم تكراره الكلام :

وذلك أنه إذا ذكر المعنى فى مادة ثم جاء شبيه له فى مادة لاحقة : فإنه لا يكرر ما قاله ، بل يحيل على ما ذكر ، كقوله فى (تلع)[4] « والتَّلِعُ : التَّرِعُ ، وقد فَسَّرناه » .

وكان قد فسره فى (ترع) حيث قال[5] : الامتلاء ، وقد ترع » ، أى : امتلأ .

وكثيرا ما كان يحدث ذلك فى المعتل كقوله فى (عو)[6] : العوة هى الصوت ، كتبناه هنا للفظ وهو فى بابه مكتوب » .

وقد دلنا – بهذا – على أن مادتها هى (عوى) ولكنه ذكرها هنا مراعاة للفظ . هذا وقد رجعت إلى مادتها التى ذكرها وهى : (عوى) فلم أجده ذكرها فى مكانها[7] ، ويبدو أنه نسيها ، وتلك كانت إحدى عيوب الإحالة عنده[8] .

---

(١) مجمل اللغة : ١ / ١٥١ .

(٢) قال ابن دريد (فى الجمهرة ٢ / ١٤) ما نصه : « والتور عربى معروف هكذا يقول قوم ، وقال آخرون : بل هو دخيل ، والتور : الرسول بين القوم عربى صحيح .

(٣) مجمل اللغة : ١ / ٣٠١ .

(٤) السابق : ص ١٥٠ .

(٥) السابق : ص ١٤٧ .

(٦) السابق : ٣ / ٦١١ .

(٧) السابق : ص ٦٣٨ .

(٨) انظر : مقدمة المحقق : ص ٤٥ .

٩ – اهتمامه بالأنساب والظواهر الطبيعية[1] :

اهتم ابن فارس فى مجمله : بالأنساب وأيام العرب وخيلها وأصنامها ، كما اهتم بأسماء الحيوانات والطيور والنباتات والمدن والمواضع ، مع الميل إلى الإيجاز فى ذكرها ، كقوله – مثلا – فى (عظل)[2] : « ويوم العُظَالى : يوم لهم » وكقوله فى (عرَّ)[3] « والعراة اسم فرس » .

وندر منه التفصيل فى مثل هذه الأمور ، كقوله فى (بهز)[4] : « وبَهْزٌ اسم رجل ، وهو : بَهْزُ بن حكيم بن معاوية بن حَيْدَة القُشَيْرِى ، صحب جدُّه النبىَّ ﷺ » .

وكقوله فى (رن)[5] : « ويقال : إن الرَّنَنَ دُوَيْبَة تكون فى الماء ، تصيح أيام الصيف ، قال الشاعر :

* ولا اليَمَامُ ولم يصدح له الرَّنَنَ *

١٠ – اهتمامه بالشواهد :

حفل مجمل اللغة بالشواهد المختلفة : من القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف ، وأشعار العرب ، وأمثالهم ، وما اشتهر من أقوال الفصحاء والبلغاء ، وذلك على الرغم من عزمه على عدم الإكثار منها حيث قال فى مقدمة مجمله[6] : « وسميته مجمل اللغة : لأنى أجملت الكلام فيه إجمالا ولم أكثره بالشواهد والتصاريف » .

---

(١) المجمل – مقدمة المحقق : ص ٤٦ .
(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٦٧٥ .
(٣) السابق : ص ٦١٣ .
(٤) السابق : ١ / ١٣٧ .
(٥) السابق : ص ٣٧٠ .
(٦) مجمل اللغة : ص ٧٥ .

ولكن « الحاجة إلى الشواهد فرضت نفسها على المؤلف فاضطر إلى ذكرها خدمة لقارىء كتابه »[1] وإن كان قد ظل حريصا على الالتزام بوعده ما أمكن ، ولذلك : كان أحيانا يستشهد بلفظة واحدة من القرآن الكريم ، كقوله فى (هرت)[2] : « وهاروت : قد جاء ذكره فى القرآن » .

ويعنى بذلك قوله تعالى فى سورة البقرة (آية ١٠٢) : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ .

كما كان – فى استشهاده بالحديث الشريف – لا يذكر الحديث كاملا ، بل يكتفي بالإشارة إليه ، كقوله فى (لمس)[3] : « ونهى رسول الله ﷺ عن بيع الملامسة » .

أهم المآخذ عليه فى عرضه المفردات اللغوية[4] :

١ – إيراده مفردات لا يتأكد من تمام صحتها وثبوتها ، وذلك كقوله فى (تشح)[5] : « ذكر بعضهم أن التُّشْحَةَ : القليل من اللبن يقال : ما بقى فى الإناء تُشْحَةَ ، ولم أسمعها ، وفيها نظر » .

وكقوله فى (عفث)[6] : « الأَعْفَث الذى إذا جلس تكشَّف ، قالها الأصمعى ولم أسمعها سماعا » .

---

(١) مقدمة المحقق : ص ٤٦ .

(٢) مجمل اللغة : ٣ / ٩٠٣ .

(٣) مجمل اللغة : ٣ / ٧٩٤ ، ونص الحديث : « عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن الملامسة والمنابذة » صحيح البخارى (ط ٢ البهية المصرية) : ٢ / ١١ .

(٤) عن مقدمة المحقق – انظر : ص ٤٥ ، ٤٦ ، هذا : وقد أخذ المحقق على ابن فارس – فى هذا الصدد – أشياء ، لم أستطع أن أسلكها ضمن المآخذ عليه ، لأننى وجدتها – من وجهة نظرى – لا تعد مآخذ ، وإن شئت فانظر مقالى عن مجمل اللغة بمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد ٦ .

(٥) مجمل اللغة : ١ / ١٤٨ .

(٦) السابق : ٣ / ٦١٦ .

وكقوله فى (أنب)[1] : « ويقال أصبحت مُؤْتَنِبًا : إذا لم تشته الطعام ، قال أبو زيد : ولم أسمعه سماعا .

وهذا مخالف لما أخذه على نفسه من عدم ذكره اللفظ إلا إذا : صح سماعا ، أو ذَكَره كتاب لا يشك فى صحة نسبته[2] .

٢ - نسيانه بعض الإحالات التى وعد بذكرها فى بابها[3] .

٣ - عدم الدقة فى نقل بعض الألفاظ عن الآخرين وذلك « كقوله (الدينِ من الأمطار)[4] والصواب أنه الودين كما ورد فى كتاب العين .

وقوله - عن الفراء - : (رُنَّى - بوزن : حُبلى - هى جمادى الأولى)[5] فى حين كانت (ورنة) فى كتاب الفراء : « الأيام والليالى والشهور »[6] .

٤ - هذا بالإضافة إلى صعوبة منهجه الذى اتخذه فى عرض مواد كتابه والذى كان يحتاج إلى مزيد من التبسيط ليكون فى متناول عامة القراء لا خاصتهم فقط .

لكن هذه الهنات التى ذكرتها لا تنقص من قدر هذا الكتاب الجليل .

وأعتقد انه لو أتيحت لصاحبه الفرصة كى يراجع كتابه : لخلا من هذه المآخذ تماما . ولكن الكمال لله وحده .

***

---

(١) المجمل : ١ / ١٠٤ .

(٢) السابق : (مقدمة كتاب الجيم) : ١ / ١٦٨ .

(٣) انظر فى ذلك : ص ١٦١ من هذا الكتاب .

(٤) نص عبارة ابن فارس : « ويقال إن الدين من الأمطار : ما اعتاد مكانا وقد حكى عن الخليل » مجمل اللغة : ٢ / ٢٤٣ ، وواضح منها عذر ابن فارس ، لأنه نقل عمن نقل عن الخليل .

(٥) قال ابن فارس فى هذا الصدد : (المجمل : ٢ / ٣٧٠) « وحكى ناس عن الفراء ولم أسمعه سماعا وإنما وجدته أنه يقال لجمادى الأولى : رنى بوزن حبلى » وواضح هنا أيضا أنه نقل عمن نقل عن الفراء وأنه لا يكاد يصدقه .

(٦) مقدمة المحقق : ص ٤٥ ، ٤٦ .

ثالثا : مكانة مجمل اللغة بين المعجمات الهجائية الألفبائية :

مجمل اللغة لابن فارس يعد – فى رأيى ورأى بعض الباحثين[1] – أول معجم رتبت مفرداته ترتيبا ألفبائيا مع مراعاة الحروف : الأول والثانى والثالث من الكلمة .

وحسنا فعل الأستاذ عطار حينما عد ابن فارس من رواد المعجمات العربية[2] .

ولكنى لست معه فى أن يعد محمد بن تميم البرمكى (توفى سنة ٤٣٣هـ) صاحب مدرسة الترتيب الألفبائى[3] ، لأن ترتيب ابن فارس كان معروفا ومشهورا قبل أن يأتى البرمكى حيث ولد ابن فارس سنة ٣٠٦ أو ٣٠٨هـ[4] ، بينما ولد البرمكى سنة ٣٧٢ هـ[5] ، فابن فارس سابق فى الميلاد – وبالتالى فى التأليف – بسنين طويلة .

وحين صنف البرمكى كتابه سنة ٣٩٧ هـ[6] – بعد وفاة ابن فارس بعامين ، حيث توفى سنة ٣٩٥هـ – كان مجمل اللغة قد ذاع وانتشر واشتُهر ، وأراد البرمكى أن ينسج على منواله – متجاوزا طريقته بعض الشىء – فلجأ إلى كتاب الصحاح – الذى كان قد أُلف سنة ٣٩٦هـ[7] ، وكان مرتبا على أساس مدرسة القافية التى تعد الحرف الأخير من الكلمة بابا ، والأول منها فصلا – فأعاد ترتيبه

---

(١) انظر : مقدمة محقق مجمل اللغة : ص ٧ .

(٢) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات العربة – لأحمد عبد الغفور عطار – ص ١٢٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ص ١١٤ .

(٤) انظر : مجمل اللغة : ١ / ١٢ .

(٥) انظر : المعاجم العربية – الكتاب الأول – للدكتور عبد السميع محمد أحمد : ص ١٣٥ .

(٦) انظر : معجم الأدباء – لياقوت الحوى : ١٨ / ٣٥ .

(٧) المرجع السابق : نفسه .

على نظام الألفبائية التى اتبعها ابن فارس . وراعى فيها الحرف الأول والثانى والثالث .

وأستطيع أن أقول إن البرمكى لم يبذل أى جهد يذكر فى كتابه هذا الذى اسماه : (المنتهى فى اللغة)[1] ، اللهم إلا إعادة ترتيب مواد الصحاح على النظام الألفبائى ، مع مراعاة الحرف الأول والثانى والثالث والرابع ، وقد « سهل ... أن الجوهرى راعى هذه القاعدة »[2] .

ومن عجب أنى وجدت الأستاذ عبد الغفور عطار يقول[3] : « ومع هذا فإن البرمكى أجهد نفسه فى ترتيب المواد لأنه أخذ الصحاح ورتبه ترتيبا جديدا حيث جعله على أوائل الحروف » .

مع أن البرمكى - على حد قول (عطار)[4] - لم يزد على « أن أخذ من الصحاح من كل باب وفصل : الحرف الذى يريده ، ففى باب الهمزة : أخذ منه فصل الهمزة ، ومن باب الباء والتاء والثاء والجيم حتى الياء : أخذ فصل الهمزة ، ورتبها على أوائل الحروف ، مراعيا الحرف الثانى والثالث ، ثم انتقل إلى باب الباء ، وصنع فيه (مثل) ما صنع فى باب الهمزة ، حتى انتهى إلى آخر حرف من حروف الهجاء .

جهد البرمكى فى (المنتهى فى اللغة) :

فأى جهد بذله البرمكى فى هذا ؟ اللهم إلا جهد النقل من كتاب إلى كتاب آخر ، ولذلك فإنه لم يمكث فى إعداد كتابه طويلا ، حيث ظهر بعد ظهور الصحاح بعام واحد[5] .

---

(١) معجم الأباء : ١٨ /٣٥ ، كشف الظنون : ٢ / ١٨٥٨ ، هدية العارفين : ٢ / ٦١ .
(٢) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١٣٣ .
(٣) السابق : نفسه .
(٤) السابق : ص ١٣٤ .
(٥) انظر : معجم الأدباء : ١٨ / ٣٥ .

ثم إن الصحاح – بطبيعته – كان مرتبا داخليا ، حسب الحرف الأول والثانى والثالث والرابع ، ولم ينقصه – لكى يصبح على النظام الألفبائى – إلا نقل الفصول المتفرقة من أماكنها – فى الصحاح – لكى تحتل مكانها فى الأبواب الجديدة الملائمة لها فى كتاب (المنتهى فى اللغة) وليس فى هذا أى جهد تأليفى .

جهد ابن فارس فى (مجمل اللغة) :

وأين هذا من الجهد الذى بذله ابن فارس فى مجمله من ناحية :

١ – التأليف : الذى اعتمد على الاختصار ، بينما كان يعيش فى زمن المعاجم المطولات .

٢ – ومن ناحية : تقسيم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة (الثنائى المضاعف والمطابق ، ثم الثلاثى ، ثم ما زاد على ثلاثة) .

٣ – وأخيرا : من ناحية الترتيب ومراعاة الحرف الأول والثانى والثالث ، لا فى كل كتاب فقط ، بل فى كل باب .

ذيوع (مجمل اللغة) واندثار (المنتهى فى اللغة) :

ومن أجل ذلك : ذاع (مجمل اللغة) – لابن فارس – وسارت به الركبان ، بينما كتاب (المنتهى فى اللغة) : لا يكاد يوجد له أثر ، اللهم إلا « جزء منه – فى مائة ورقة – بالمكتبة الخاصة بإبراهيم حمدى الخربوطلى ، أمين مكتبة شيخ الإسلام : عارف حكمة الله بالمدينة المنورة »[1] .

هذا إلى جوار « قطعة فى ست ورقات – حجم صغير – بمكتبة كوبريللى ، رقم : ١٥٢١ / ٢ ، وهى من نسخة كتبت فى أوائل القرن السادس ، والموجود منها بعض نقول »[2] .

---

(١) الصحاح ومدارس المعجمات العربية : ص ١١٦ .

(٢) فهرس المخطوطات المصورة – تصنيف : فؤاد سيد (طبع دار الرياض بالقاهرة) : ١ / ٣٧٥ .

كتاب : (المنتهى فى اللغة) عالة على غيره :

وفى اعتقادى أن كتاب (المنتهى فى اللغة – للبرمكى) : كان عالة على كتاب المجمل : فى اختيار الطريقة التى سار عليها ، وعالة على الصحاح : فى أخذ المواد .

وإذا كان البرمكى قد تجاوز طريقة ابن فارس (فى مجمله) – من ناحية : عدم تقسيم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب ، ومن ناحية عدم بدئه بالهمزة فى كل باب – حيث كان يبدأ بالحرف الذى يلى اسم الباب – فإن هذا التجاوز ليس من اختراع البرمكى بل كان الفضل – فى ذلك – يعود إلى الله ثم إلى الجوهرى فى صحاحه ، حيث أنه رتب مواده داخل الفصول ، بادئا بالهمزة ومنتهيا بالياء .

اندهاش بعض الباحثين من نسبة طريقة الألفبائية إلى البرمكى :

وقد دَهِش بعض الباحثين[1] حين رأى الزمخشرى فى مقدمة أساس البلاغة : يفيد أنه رتب كتابه على أشهر ترتيب متداول[2] ، ثم رأى أحمد عبد الغفور عطار يفيد أن البرمكى أسبق الناس إلى هذا الترتيب الجديد[3] .

ويعلل سر دهشته بأن السنوات القليلة التى تفصل زمن البرمكى والزمخشرى – (البرمكى توفى سنة ٤٣٣هـ والزمخشرى ولد سنة ٤٦٧هـ) – لا تؤهل – فى رأيه – لشهرة التداول التى أشار إليها الزمخشرى .

وهذا يؤيد ما أذهب إليه ، إذ أن الأَوْلى – بناء على ما سبق – أن تكون هذه الطريقة معروفة منذ ألَّف ابن فارس مجملَهُ فى القرن الرابع – تقريبا – ثم ظل يشيع بين الناس بطريقته الجديدة ، حتى جاء الزمخشرى فوجد طريقته من الذيوع والانتشار بمكان فسار على سبيله وإن كان قد تخطى – من طريقة ابن فارس – ما تخطاه البرمكى .

---

(١) د . عبد السميع محمد أحمد – المعاجم العربية : ص ١٣٥ .
(٢) أساس البلاغة (ط دار الكتب المصرية) : ص ٢ .
(٣) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات : ص ١٣٦ .

وهذا كله – أيضا – لا يدع مجالا لقول من قال : « إن الزمخشرى هو صاحب أول ترتيب الفبائى يراعى الحروف الأصول »[1] .

كما أن إفادته بأن ذلك « كان للمرة الأولى فى تاريخ المعاجم العربية العامة »[1] ، لا محل لها من القبول ، بعد أن استبانت لنا الحقائق واضحة كالشمس .

تناقض فى القول :

وقد رأيت – فى هذا الشأن – تناقضا عند أحد الباحثين – حيث قال[2] : إن المجمل والمقاييس – لابن فارس – : قد ظهرا فى أواخر القرن الرابع الهجرى وكان ترتيب الكلمات فيهما هو الأول من نوعه ، إذ التزم المؤلف فى كل منهما نظام الأبجدية . . وتعجب – هذا الباحث – من ابن منظور (٦٨٠ – ٧١١هـ) لأنه لم يرتب (اللسان) على ترتيب المجمل بل رتبه على طريقة الصحاح[3] .

ثم وجدته – بعد صفحات قليلة – يناقض قوله هذا ، حيث قال[4] « إن ترتيب المفردات حسب الأبجدية العادية : قد التُزِم التزاما كليا فى المعاجم العربية لأول مرة حينما ألف الزمخشرى كتابه : أساس البلاغة فى القرن السادس الهجرى » .

رأى بعض الباحثين الآخرين :

وحسنا فعل بعض الباحثين الآخرين ، حين جعلوا المجمل والمقاييس – لابن فارس – على رأس المدرسة الأبجدية[5] ، وإن كانوا لم يفردوا لهما من كتبهم أية

---

(١) د . حسين نصار – المعجم العربى : ٢ / ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

(٢) د . عبد الله درويش – المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين : ص ١٢٢ .

(٣) المرجع السابق : ص ٩٩ .

(٤) السابق : ص ١٢٦ .

(٥) انظر : المعاجم اللغوية – د . إبراهيم نجا (طبع السعادة ١٩٧٧م) ص ١٧٢ ، والمعاجم – الكتاب الأول – د . عبد الله العزازى (دار الطباعة المحمدية ١٩٦٩م) ص ٢٧ ، ومعاجم اللغة العربية – د . عبد الغفار هلال (ط ١٩٨٦م) ص ١٧ .

صفحات تذكر[1] - ... وصف باحث آخر[2] طريقة ابن فارس بأنها فريدة بين طرق أصحاب المعاجم ، ووسمها بالسهولة واليسر ، وأفرد للمجمل صفحات طوال من كتابه[3] .

هل كان أبو عمرو الشيبانى صاحب فكرة الألفبائية ؟

أما بالنسبة لما ذهب إليه بعض الباحثين[4] من أن أبا عمرو الشيبانى (ت ٢١٣هـ) هو صاحب فكرة الألفبائية - فى المعاجم العربية - فى كتابه : الجيم : فإنى أوافقهما فى شيء واحد هو : أن أبا عمرو نبه إلى هذه الفكرة ، حيث رتب مواد كتابه على حسب الترتيب الألفبائى ولكنه لم يراع - فى هذا الترتيب - إلا الحرف الأول فقط ، وهذا شيء لا ييسر على القارىء مهمته إلا من ناحية واحدة فقط هى : معرفة الباب الذى يضم الكلمة التى يبحث عنها .

أما أين يجد هذه الكلمة فى خضم هذا الباب ؟ فهذا شيء لم ييسره أبو عمرو لقارىء كتابه .

ولكن ابن فارس يسر الأمر فى مجمله ، وسهل للناس طريقهم ، ووفر عليهم وقتهم ، حيث رتب المواد مراعيا فيها : الأول والثانى والثالث ، على حسب الأبنية أو الأبواب التى قسم كتابه إليها .

وبذلك : يكون قد تحمل مشقات هذه الطريقة ، فى سبيل تذليل الصعاب أمام القارىء ومن أجل توفير وقته ! أفلا يستحق - بعد هذا كله - أن يكون رائد المدرسة حقا ؟!

---

(١) انظر : المراجع السابقة .

(٢) هو : د . أمين فاخر ، فى كتابه : دراسات فى المعاجم العربية (مط : حسان) : ص٨٥ .

(٣) من ص : ٨١ إلى ص : ٩٨ .

(٤) انظر : المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد (ط ١ سنة ١٩٨٦م) للدكتور : عبد المنعم عبد الله ، والدكتور أحمد طه سلطان - ص ١٣٣ .

كلمة فى النهاية

وخلاصة ما يمكن قوله – فى هذا المجال – هو ما يلى :

أولا : كان أبو عمرو الشيبانى (ت ٢١٣هـ) أول من نبه إلى الطريقة الألفبائية – على المستوى المعجمى اللغوى – وإن كان لم يتحمل مشاقها حيث لم يراع إلا الحرف الأول فقط .

ثانيا : جاء ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فحمل هذه المدرسة على كتفيه ، وتحمل مشاقها ، واجتاز عقباتها ، وسهل صعبها ، وذلل متنها ، ورتب كلماتها ، حسب منهجه السابق الذكر[1] .

ثالثا : أتى البرمكى (ت ٤٣٣هـ) فسار – فى ترتيبه لكتاب الصحاح للجوهرى (ت ٣٩٨هـ) – على طريقة ابن فارس ، وإن كان قد عدل عن طريقة تقسيم الباب إلى ثلاثة أقسام ، وعن طريقة البدء بالحرف الذى يلى حرف الباب ، وأضحت طريقته : ترتيب المواد فى كل باب حسب أول حرف فيها ، مع مراعاة الحرف الأول والثانى والثالث والرابع .

وقد ساعده على تحقيق ذلك المنهج : أن الجوهرى كان قد رتب مواده – داخل الفصول – هذا الترتيب .

ابن فارس : صاحب مدرسة الألفبائية :

لكن : إذا أردت أن أرد الفضل إلى صاحبه – فى هذه المدرسة – فإن الفضل – بعد الله – يعود إلى ابن فارس ، لما بذل من جهود موفقة ، جعلت هذه المدرسة تقف على قدميها ، شامخة وسط المدارس الأخرى ، بل تتقدمها من حيث السهولة ، واليسر المطلوبان فى أى معجم .

❋❋❋

---

(١) انظر : ص ١٤٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

أساس البلاغة

للزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)

تمهيد :

يعد معجم أساس البلاغة : أشهر معجم موجود بين أيدينا – طبق مدرسة الألفبائية ، تطبيقا كاملا وسليما ، بعد أن تخطى الصعوبات التى كانت لا تزال فى معجم مجمل اللغة ، ذلك الذى كان يعتمد على الأبنية أساسا ، ثم ترتيب الكلمات داخل الأبنية ترتيبا ألفبائيا ، مراعيا فيها الحرف الأول والثانى والثالث والرابع لأول مرة .

فقد تخطى الزمخشرى – فى أساس البلاغة – هذه الأبنية ، وحشد الكلمات داخل أبوابها ، التى تسمى باسم أول حرف فى هذه الكلمات ، مراعيا ترتيبها داخليا حسب الحرف الأول والثانى والثالث والرابع .

ولذلك كان من حقه علينا أن نلقى عليه وعلى كتابه بعض الضوء .

أولا : الزمخشرى* :

من هو ؟

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى – ولد بزمشخر – وهى قرية من قرى خوارزم – فى يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة هجرية .

---

* انظر فى ترجمته : معجم الأدباء – لياقوت الحموى : ١٩ / ١٢٦ – ١٣٥ ط دار المأمون ، وَفَيات الأعيان – لابن خلكان ٤ / ٢٥٤ – ٢٦٠ ط مطبعة السعادة سنة ١٩٤٨م .

أساتذته :

أخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني ، وأبي الحسن على بن المظفر النيسابوري ، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي ، ومن أبي سعد الشُّقَّاني (نسبة إلى شُقَّان : قرية من قرى نيسابور) .

إصابة رجله :

أصابه خراج في رجله فقطعها ، واتخذ رِجْلا من خشب ، وقيل : أصابه برد الثلج في بعض أسفاره .

وحكى الدامغاني (المتكلم الفقيه) عن الزمخشري أن سبب قطع رجله : هو أنه في أحد أسفاره إلى بخارى لطلب العلم ، سقط عن الدابة ، فانكسرت رجله وأصابه من الألم ما أوجب قطعها .

مكانته العلمية :

كان واسع العلم كبير الفضل ، متفننا في علوم شتى ، ومنها التفسير والنحو واللغة والأدب ، ولذلك قال عنه ابن خلكان[1] : « كان إمام عصره من غير مدافع ، تشد إليه الرحال في فنونه » .

تصانيفه :

صنف الزمخشري ما يربو على اثنين وخمسين مصنفا ، في التفسير والحديث واللغة والشعر والأدب[2] .

ومن أشهر تصانيفه : الكشاف في تفسير القرآن ، والفائق في غريب الحديث ، والمفصَّل في النحو ، والقسطاس في العروض ، وأساس البلاغة في المعاجم .

---

(١) وفيات الأعيان : ٤ / ٢٥٤ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في : معجم الأدباء : ١٩ / ١٣٣ - ١٣٥ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٢٥٤ .

ثانيا : أساس البلاغة :

الهدف من تأليفه :

اختلف هدف الزمخشرى عن هدف المعجميين السابقين عليه ، حيث كان هدفهم الأساسى : جمع ألفاظ اللغة وحصرها وترتيبها بين دفتى المعجم ، ثم شرحها شرحا يوضح معناها ، دون النظر إلى منزلتها الأدبية .

أما الزمخشرى فإنه لم يهدف إلى ذلك أساسا ، وإنما هدف – بجوار ذلك – إلى : **التفرقة بين المعانى الحقيقية والمعانى المجازية** ، ولذلك عُنى بالعبارة المركبة ذات المركز المميز فى عالم اللغة والأدب ، ومن ثَمَّ : فقد اقتبس نصوصا وتعبيرات برمتها ، من الكتب الأدبية ، لتوضيح ما ذهب إليه ، كما أورد الألفاظ فى استعمالاتها العربية البليغة ، ولم يأت بها مفردة عارية عن التركيب غالبا[1] .

وقد نبه على ذلك ، فى مقدمته القصيرة ، التى كتبها بين يدى أساس البلاغة ، حين قال[2] :

> **ومن خصائص هذا الكتاب : تُخُيِّر ما وقع فى عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، أو ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها ، من التراكيب التى تُملُح وتحسُن ، ولا تنقبض عنها الألسن . . . ومنها : التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بِسَوْقِ الكلمات متناسقة لا مُرْسَلة بَدَادًا ، ومتناظمة لا طرائق قِدَدًا ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حر المنطق الدالة على ضالَّة المِنْطِيقِ المفلق .**

---

(١) انظر : المعجم العربى – د . نصار : ص ٦٩١ ، المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد – د . عبد المنعم عبد الله ، د . أحمد طه : ص ١٨٠ .

(٢) أساس البلاغة : ص د – ط دار الكتب المصرية .

ومنها : تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح : بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح .

فهو – كما وضح من كلامه – : لم يعن باللفظة المفردة ، ولكنه عُنى بالجملة المركبة التى استوفت شروط البلاغة والفصاحة ، وتميزت على غيرها من العبارات .

خدمة الشعراء والناثرين :

وقد خص الزمخشرى كتابه بهذه الخصائص : ليكون معينا للشعراء والناثرين ، أصحاب القرائح الصافية ، والسلائق السليمة ، العارفين بقواعد العربية ، الآخذين بطرف من علم المعانى ، وبسبب من علم البَيان ، والذين إذا طالعوا كتابه : سيفحُلُ نثرهم ، ويجزُل شعرهم ، ولم يبعُد عليهم أن يبزوا من سبقوهم فى هذا المجال ، كما قال الزمخشرى فى مقدمته[1] .

مراجعه ومصادره :

ولهذا السبب – أيضا – فقد اختلفت مراجعه ومصادره عن مراجع ومصادر أصحاب المعاجم الأخرى ، إذْ استقى مادة كتابه مما فصح من لغات العرب ، « وملُح[1] من بلاغتها ، وما سمع من الأعراب فى بواديها ، ومن خطباء الحِلَلِ[2] فى نواديها ومن قراضبة[3] نجد فى أكلائها ومراتعها ، ومن سماسرة[4] تهامة فى أسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قُلُبها[5] ، وتساجعت به

(١) انظر : أساس البلاغة : ١ / د .

(٢) أى : الجماعات .

(٣) الصعاليك أو اللصوص .

(٤) السمسار : المتوسط بين البائع والمشترى .

(٥) أى : آبارها .

الرعاة على شفاه عُلَبِها[1] ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم فى ساعات المماتنة[2] وما تزامنت[3] به سفراء ثقيف وهذيل فى أيام المفاتنة ، وما طولع فى بطون الكتب ومتون الدفاتر ، من روائع ألفاظ مُفْتَنَّة وجوامع كلم فى أحشائها مُجْتَنَّة[4] » .

ترتيب مواده :

أما عن ترتيب مواد كتابه فإنه لم يتحدث عن كيفية هذا الترتيب بل اكتفى بتبشير القارىء قائلا[5] :

« وقد رُتب الكتاب على أشهر ترتيب مُتَدَاولا وأسهله متناولا » .

وهذا يشعرنا بأن ترتيب المواد ألفبائيا كان معروفا ومشهورا عند خروج كتاب الزمخشرى إلى حيز الوجود ، كما اشتهرت وعرفت طرق الترتيب الأخرى ، كالتقليبات الصوتية والأبجدية ، والقافية .

ويبدو أن الزمخشرى وازن بين طرق الترتيب المشهورة ، والمعروفة فى عصره ، واختار منها أسهلها بدليل قوله : « وأسهله متناولا » .

وإن دل هذا على شيء : فإنما يدل على أن ترتيب المواد ألفبائيا ؛ كان مستقرا ومعروفا تماما فى عصر الزمخشرى ، ولذلك فإنه لم يشرح لقارئه طريقة ترتيب مواد كتابه ، ولِمَ يشرحُها له وهى معروفة لديه ؟ ويكفيه أن يطالع بعض المواد فى كتابه حتى يعرف أى الطرق اختار الزمخشرى وعلى أى السُّبُل سار . .

ولو كان الزمشخرى هو مخترع هذه الطريقة : لشرحها لقارئه ، لأنها ستكون غير مألوفة لديه فى هذا الوقت ، كما يفعل أصحاب الطرق والمذاهب والاتجاهات الجديدة دائما .

---

(١) أقداح من الخشب يُحلب فيها .

(٢) المعارضة فى الشعر وإظهار التفوق .

(٣) الزمل : الرجز .

(٤) أى مخفاة .

(٥) مقدمة أساس البلاغة : ص : د .

نموذج من أساس البلاغة(*)

التاء مع الكاف

ت ك ك : فلان يَستَتِكُّ بالحرير ، من التِّكّة .

التاء مع اللام

ت ل ب : اتلأبَّ الطريق : اطَّرد واستقام ، ومرُّوا فاتلأب بهم الطريق . قال الحُطيئة :

أَلا طَرَقَتنا بعد ما هَجَدُوا هِنْدُ   وقد سِرْنَ خَمْسًا واتْلأَبَّ بنا نَجْدُ

واتلأب أمرهم ، وهذا قياسٌ مُتْلَئِبٌّ .

ت ل ع : رجل أتلع : طويل العنق ، وامرأة تَلْعَاء وجِيدٌ تليعٌ .

قال الأصمعى ، قال الأعشى :

يوم تُبْدِى لنا قُتَيْلَةُ عن جِيـ   ـدٍ تليـع تَزِينُـه الأَطْـواقُ

وأتلعت الظبيةُ : سَمَتْ بِجِيدِها . قال ذو الرُّمَّة :

كما أَتْلَعَتْ من تحت أرطاةِ رَمْلَة   إلى نَبْأَةِ الصوتِ الظِّباءُ الكَوَانِسُ[1]

وأتلعت فُلانةُ فَنظَرتْ : إذا أطلعت رأسها .

وإنه ليتالع فى مِشْيَتِه : إذا مد عنقه ، ورفع رأسه .

وأعْشَبَت التلاع ، ونزلنا بَتلْعَةِ كذا ، والتلعة مَكْرُمةٌ للنبات .

ومن المجاز : « ما يوثق بِسَيْل تَلْعَتهِ » ، مثل للكاذب .

وتَلَع النّهار وأَتْلع : ارتفع ، قال :

---

* ص ٨١ ، ٨٢ ط دار الكتب المصرية .

(١) الظباء الكوانس : المستترات فى الشجر .

وكأنهم فى الآل إذْ تَلَعَ الضُّحَى   سُفُنٌ تعَوَّمُ قد أُلْبِسَتْ أَجْلَالًا

ت ل ف : السَّلَفُ تَلَفٌ ، وأَتْلَفَ ماله ، وهو : مِتْلَافٌ مِخْلَاف .

قال :

فَأَتْلِفْ وأَخْلِفْ إنما المال عَارَةٌ   وَكُلْهُ مع الدهر الذى هو آكِلُه

ووقعوا فى مَتْلفةٍ وفى مَتَالف .

ت ل ل : تَلَّه للجَبِين . وتَلَّ الشىء فى يده : وضعه فيها .

وله تليل كجذع السَّحُوقِ : أى عُنُقٌ .

وتَلْتَلَهُ : أَزْعَجَهُ ، وهو يُتَلْتِلُ الأقْرَان ، ولَقُوا منه التَّلَاتِل .

ت ل و – ما زلت أَتْلُوه حتى تَلَوْتُه أى سبقته وجعلته يَتْلُونى . وناقةٌ مُتْلِيَةٌ : يتلوها ولدها ، ونوق مُتْلِيَات ومَتَالٍ ، وغربت توالى النجوم .

وتقول : تَوَالَتْ علىَّ الأوالى ، ولِلتَّوالى عَلَىَّ تَوَالى .

وهو : تِلْوُ فُلانٍ أى : تَالِيه . وفلان يُصَلِّى وَيُتَلِّى : إذا أتبع المكتوبة النافلة . قال البُعَيْث :

على مَتْنٍ عَادِىٍّ كَأَنَّ أُرُومَه   رجال يُتَلُّونَ الصَّلاة خُشوعُ

أى : يتبعون الصلاة لا يفترُوُن ، والأُرُوم : الأعْلَام .

وتلوت القرآن ، والقرآن خيرُ مَتْلُوٍّ .

وهذه تِلَاوة ما عليها طِلَاوة .

وتلا زيد وعمرو يُتَالِيه ، أى يُرَاسِلُه ، وهو رسيله ومُتَالِيه .

ومن المجاز : ذهبتْ تَلِيَّةُ الشباب أى : بَقِيَّته ، لأنها آخره الذى يتلوما تقدم منه . وعليك تَلِيَّةٌ من الدَّيْن . قال ابن مقبل :

يا حُر أمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَبَتْ   فلسْتُ منها علَى عَيْنٍ ولا أَثر

وفلان : بقية الكرام وَتلِيَّةُ الأحرار . وأُتْلِىَ فلان على فلان : أُتْبِع عليه أى أُحيل .

والتَّلاءُ : الحَوَالَةُ . قال زهير :

جِوَارٌ شَاهِدٌ عَدْلٌ عليكم   وسِيَّانِ الكفالةُ والتَّلاءُ

وأُتْلَيْتَ فُلَانًا سهما : إذا أعطيتَه سَهْم الجِوارِ ، ومعناه : جعلته تلوه وصاحَبهُ . واسْتَتْلى فلان : طلب سهم الجوار .

ومن الكناية : تَلَوْت الإبل : طردتها ، لأن الطارد يتبع المطرود قال ذو الرُّمة :

يتلو نَحائِصَ أشباها مُحَمْلَجَةً   صُحْرَ السَّراويل فى أحشائها قَبَبُ[1]

وروى : يَقْلُوا . ويقال للحادى : التَّالى ، كما يقال له : القَالِى .

التاء مع الميم

.... إلخ .

ومن هذا النموذج يتبين لنا المنهج الذى سار عليه الزمخشرى فى معجمه أساس البلاغة ، وهو أنه :

١ — كان يجرد المواد من زوائدها ، ويرد المقلوب إلى أصله ، والمحذوف إلى

---

(١) النحائص : الإبل السمينة — المُحملجة : المفتولة الشديدة — صُحْرَ السراويل : مُغْبَرة فى حُمْرة — فى أحشائها قبب : أى ضمور فى البطن .

مكانه ، ثم يرتبها ترتيبا ألفبائيا ، مراعيا فيها الحرف الأول والثانى ثم الثالث .
فهو فى النموذج الذى بين أيدينا : أتى بما أوله تاء وكاف ثم أعقبه بما أوله : تاء ولام ، ثم بما أوله : تاء وميم .

ونجده يرتب المواد - داخل الباب - ترتيبا ألفبائيا كذلك . .

ففى باب التاء مع اللام وضع أول مادة فيه : تلب ثم أعقبها :

ت ل ع - ت ل ف - ت ل ل - ت ل و .

وكل ذلك دون حدوث اضطراب فى ترتيب المواد أو الأبواب .

٢ - كان لا يشرح المادة بل يعمد إلى وضعها فى جملة تبين معناها كقوله فى (ت ل و) : « ما زلت أتلوه حتى تليته ؟ أى سبقته وجعلته يتلونى » فنفهم من هذا أن (تلاه) بمعنى : اتبعه وسار فى أثره حتى سبقه وجعله تاليا له أى تابعا له .

٣ - كان : يستشهد على ما يقول بأشعار العرب سواء منها ما عرف قائلها أم لم يعرف ، فإذا عرفه فإنه يصرح باسمه ، كقوله (فى النموذج السابق) :

قال البعيث ، قال ذو الرمة .

وإذا لم يعرفه فإنه يقول : « قال » ، كما حدث فى (ت ل ع) فانه قال : « وتلع النهار وأتلع : ارتفع . وقال :

وكأنهم فى الآل إذْ تَلَع الضُّحى .... البيت

٤ - وكان إذا وجد فى الكلمة أكثر من وجه من وجوه النطق : فإنه يشكلها حسب الأوجه التى فيها ، كقوله : « وهذه تلاوة ما عليها طِلاوة » فقد شكل الطاء من (طلاوة) بالضم والفتح والكسر ليعُلم أن فيها ثلاثة أوجه .

٥ - كان أحيانا يفسر الكلمات الغامضة فى الشواهد التى يستشهد بها ، كقوله فى (تلو) :

قال البعيث :

على متن عَادِىٍّ كَأَنَّ أُرُومَـهُ .... البيت

والأُرُوم : الأعلام

وأحيانا أخرى : كان لا يفسر الكلمات الغامضة فى شواهده كما فى قوله :

قال ذو الرمة :

يتلو نَحَائِصَ أَشْبَاهًا مَحَمْلَجَـةً صُحْر السَّراوِيلِ فى أَحْشائِها قَبَبُ

فمعظم هذا البيت غريب الألفاظ وكان يحتاج منه إلى تفسير وتوضيح ، لكنه لم يزد على أن ذكره فقط .

٦ – كان ينص على المجازات والكنايات التى تكون فى المواد وذلك كقوله فى (ت ل و) : « ومن المجاز : ذهبتْ تَلِيةُ الشَّبَابِ أى : بقيته ، لأنها آخره الذى يتلو ما تقدم منه » .

وقوله – فى نفس المادة – : « ومن الكناية : تلوت الإبل : طردتها ، لأن الطارد يتبع المطرود .

٧ – كان يأتى ببعض آيات القرآن الكريم ولا ينص عليها (أحيانا) كقوله فى (ت ل ل) : تله للجبين وأيضا : يأتى ببعض الأمثال ولا ينص عليها (أحيانا) كقوله فى (ت ل ف) : السُّلَفُ تَلَف ، وفَعَل مثل ذلك مع الحديث الشريف ، كقوله فى عجم : « جُرْح العَجْماء جُبَار » ، وأحيانا أخرى كان ينص على أمثال هذه النصوص وينبه إلى أنها : من القرآن الكريم ، أو من الحديث الشريف أو من الأمثال العربية التى امتلأ بها كتابه .

٨ – إذا تتبعنا الكتاب كله وجدنا الزمخشرى يقسمه إلى أبواب بعدد حروف الهجاء ، ويرتب هذه الأبواب حسب ترتيب هذه الحروف بادئا بباب الهمزة ومنتهيا بباب الياء ، ولم يختل منه الترتيب إلا حين قدم باب الواو على باب الهاء[1] .

---

(١) انظر : أساس البلاغة : ٢ / ٤٨٨ ، تجد باب الواو ، ثم انظر ص ٥٣٢ تجد باب الهاء .

٩ – أما فى داخل كل باب : فقد حشد كل الألفاظ التى تبدأ بذلك الحرف المعقود له الباب .

فباب الهمزة حشد فيه الألفاظ التى تبدأ بحرف الهمزة ، وباب الباء ، حشد فيه الألفاظ التى تبدأ بحرف الباء وهكذا .

١٠ – وفى داخل كل باب : رتب المواد حسب الحرف الأول والثانى – فيما يشبه الفصول وإن لم ينبه إلى ذلك ولم يذكر كلمة فصل – ثم راعى الثالث والرابع .

ففى باب التاء – مثلا – يذكر ما يلى :

التاء مع الهمزة ، ثم التاء مع الباء ، ثم التاء مع الجيم ثم التاء مع الحاء . . وهكذا إلى نهاية الباب .

وفى (التاء مع الباء) رتب الكلمات التى تبدأ بهذين الحرفين حسب الحرف الثالث معهما ، فذكر :

ت ب ب – ثم ت ب ت – ثم ت ب ر – ثم ت ب ع – ثم ت ب ل – ثم ت ب ن – وهكذا فى بقية المواد ، مما يدل على إحكامه لذلك النظام إحكاما شديدا .

هَنات ومآخذ :

وهذا لا ينفى أن هناك هَناتٍ ومآخذَ على هذا المعجم[1] . . ولكنها فى مجملها يمكن أن تحدث فى كثير من المعاجم .

فضلـــه :

ويكفيه فضلُ توجيه حركة المعاجم التى جاءت بعده إلى العبارات الأدبية

---

(١) انظر : المعجم العربى : ص ٧٠٩ .

البليغة ، بدلا من الاقتصار على الألفاظ المفردة ؛ وفضل العناية بالعبارات المجازية المختلفة الأنواع ، وتوجيه العناية إليها فى ذاتها ، لا كما كان يفعل من كانوا قبله[1] .

وكذلك فضل السير بمدرسة الألفبائية إلى أن وصل بطريقتها إلى القمة ، فذاعت وانتشرت وألفت بها كثير من المعاجم التى جاءت بعده ، وسارت على نهجه .

ومن أشهرها :

أولا : المعاجم اللبنانية :

١ - محيط المحيط - لبطرس البستانى - ت ١٨٨٢م .
٢ - أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد - لسعيد الشرتونى - ت ١٩١٢م .
٣ - المنجد فى اللغة - للويس معلوف اليسوعى - ت ١٩٤٦م .

ثانيا : معاجم مجمع اللغة العربية :

١ - المعجم الكبير ، الذى هدف إلى تدوين الثروة اللغوية دون التقيد بعصر الاحتجاج اللغوى ، مع إبراز التطور التاريخى للغة عبر العصور .
٢ - المعجم الوسيط ، الذى هدف إلى : السهولة ، وإحكام الترتيب ، مع جمع المصطلحات العلمية الصحيحة ، والتنبيه على الدخيل على اللغة والمعرب والمولد والمجمعى (الذى أقره مجمع اللغة العربية) .
٣ - المعجم الوجيز ، الذى هدف إلى تلبية حاجة الطلاب فى وجود معجم مدرسى وجيز ، مكتوب بروح العصر ولغته[2] .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) انظر : المعجم العربى : ص٧١٠ .
(٢) انظر : المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد : ص ١٨٩ - ٢٣٥ .

ثبت بالمراجع والمصادر

أولا : المخطوطة

١ – غريب الحديث – أبو عبيد القاسم بن سلام – مخطوط رقم ١٢٤ حديث – دار الكتب المصرية .

٢ – الغريب المصنف – أبو عبيد القاسم بن سلام – مخطوط رقم ١٢١ لغة – دار الكتب المصرية .

٣ – كتاب البارع فى اللغة – مصورة فولتون – دار الكتب المصرية .

ثانيا : المطبوعة

– أ –

٤ – الإتقان فى علوم القرآن – السيوطى – نشر : مصطفى البابى الحلبى بمصر .

٥ – إرشاد الطالب – للشيخ عمارة وآخر – ط . مطبعة السعادة بمصر .

٦ – أساس البلاغة – الزمخشرى – ط . دار الكتب المصرية .

٧ – الأعلام – الزركلى – ط ٢ – دار العلم للملايين – ببيروت .

٨ – إنباه الرواه – للقفطى – بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م .

– ب –

٩ – البحث اللغوى عند العرب – د.. أحمد مختار عمر – عالم الكتب بمصر .

١٠ – بغية الوعاه – السيوطى – بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط . عيسى الحلبى بمصر .

١١ - البلغة فى شذرات اللغة - نشر : أوجست هفنز ولويس شيخو - مط الكاثوليكية ببيروت .

- ت -

١٢ - تاريخ بغداد - البغدادى - مط : السعادة ١٩٣١م .
١٣ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - بتحقيق : السيد أحمد صقر .
١٤ - تاج العروس - الزبيدى - دار صادر - بيروت .
١٥ - تفسير الطبرى - بتحقيق : محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر .
١٦ - تفسير غريب القرآن - ابن قتيبة - بتحقيق : السيد أحمد صقر - دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٥٨م .
١٧ - تهذيب اللغة - الأزهرى - بتحقيق : عبد السلام هارون - دار القومية العربية للطباعة ١٩٦٤م .

- ج -

١٨ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبى - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٩ - جمهرة اللغة - ابن دريد - ط . حيدر آباد - الهند سنة ١٣٤٤هـ .

- د -

٢٠ - دراسات فى المعاجم العربية - د . أمين فاخر - مط . حسان .
٢١ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - السيوطى - المطبعة الإسلامية بطهران .

- س -

٢٢ - سر صناعة الإعراب - ابن جنى - بتحقيق : مصطفى السقا وآخرين - ط . مصطفى البابى الحلبى بمصر .

- ص -

٢٣ - الصحاح : للجوهرى - بتحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربى بمصر .

٢٤ - الصحاح ومدارس المعجمات العربية - أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربى بمصر .

٢٥ - صحيح البخارى - بشرح الكرمانى - ط . المطبعة البهية المصرية .

- ض -

٢٦ - ضحى الإسلام - أحمد أمين - ط ٨ - مكتبة النهضة العربية .

- ط -

٢٧ - طبقات الشافعية - للسبكى - بتحقيق : محمود الطناحى وآخر - ط . عيسى البابى الحلبى بمصر .

٢٨ - طبقات النحويين واللغويين - الزبيدى - بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ٢ دار المعارف بمصر .

- ع -

٢٩ - العين - للخليل بن أحمد - بتحقيق : د . عبد الله درويش - نشر الأنجلو بمصر .

٣٠ - العين - للخليل بن أحمد - بتحقيق : د . مهدى المخزومى وآخر - نشر مؤسسة الأعلمى . بيروت .

- ف -

٣١ - فتوح البلدان - البلاذرى - ط . ليدن ١٩٦٨م .

٣٢ - الفكر المعجمى عند العرب - د . عبد المنعم عبد الله وآخر - ط . الرسالة بمصر .
٣٣ - الفهرست - للنديم - بتحقيق : رضا تجدد - ط . طهران .
٣٤ - فهرس المخطوطات المصورة - فؤاد سيد - ط . دار الرياض - القاهرة .

- ق -

القاموس المحيط - الفيروزبادى .

- ك -

٣٦ - كتاب النوادر - أبو مسحل الأعرابى - بتحقيق : د . عزه حسن - ط . مجمع اللغة العربية بدمشق
٣٧ - كتاب النوادر فى اللغة - لأبى زيد بن سعيد - بتصحيح : سعيد الخورى - مط . الكاثوليكية - ببيروت سنة ١٨٩٤م .
٣٨ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - حاجى خليفة . ط . وكالة المعارف الجليلة ١٩٤١م .

- ل -

٣٩ - لسان العرب - ابن منظور - طبعات مختلفة .

- م -

٤٠ - مجمل اللغة - ابن فارس - بتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان - مؤسسة الرسالة - بيروت .
٤١ - المحكم والمحيط الأعظم - ابن سيده - بتحقيق : مصطفى السقا وآخر - ط . الحلبى بمصر سنة ١٩٥٨م .
٤٢ - المخصص - ابن سيده - المكتب التجارى للطباعة - بيروت .

٤٣ – المزهر فى علوم اللغة – السيوطى – بتحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين – دار التراث بمصر .
٤٤ – المعاجم – الكتاب الأول – د . عبد الله العزازى – دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٩٦٩م .
٤٥ – المعاجم العربية – الكتاب الأول – د . عبد السميع محمد أحمد – دار الفكر العربى بمصر .
٤٦ – المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد – د . عبد المنعم عبد الله وآخر – ط ١ سنة ١٩٨٦م .
٤٧ – المعاجم اللغوية – د . إبراهيم نجا – مط . السعادة بمصر ١٩٧٧م .
٤٨ – معاجم اللغة العربية – د . عبد الغفار هلال – ط ١٩٨٦م .
٤٩ – معجم الأدباء – ياقوت الحموى – ط . دار المأمون .
٥٠ – معجم البلدان – ياقوت الحموى – مط . السعادة بمصر .
٥١ – المعجم العربى – نشأته وتطوره – د . حسين نصار – ط ٢ مكتبة مصر بالفجالة .
٥٢ – معجم قبائل العرب – عمر رضا كحالة – المكتبة الهاشمية بدمشق .
٥٣ – المعجم الوسيط – نشر : مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٥٤ – الموسوعة العربية الميسرة – نشر : دار القلم بمصر .

– ن –

٥٥ – نزهة الألباء – للأنبارى – ط فى مصر سنة ١٢٩٤ هـ .
٥٦ – النهاية فى غريب الحديث – ابن الأثير – بتحقيق : طاهر الزاوى وآخر – دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٦٣م .

– هـ –

٥٧ – هدية العارفين أسماء المؤلفين – إسماعيل باشا البغدادى – ط استانبول ١٩٥٥م .

محتويات الكتاب

الموضوع


الأهرام
AL - AHRAM